ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد الثالث والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2024م
www.ajsp.net

"الجمالية والفنية في شعر الصعاليك: دراسة وصفية تحليلية"

إعداد الباحثان:

ليو يونغ ده

باحث ما بعد الدكتوراه في معهد الدراسات الدولية والإقليمية بجامعة بكين للغات والثقافة

دينغ يومي

أستاذة مشاركة في جامعة بكين للغات والثقافة

https://doi.org/10.36571/ajsp7320

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد الثالث والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2024م
www.ajsp.net

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إضاءة الجوانب الجمالية والفنية في شعر الصعاليك، عبر استعراض كيفية تجسيد هؤلاء الشعراء للقيم الجمالية والفلسفية في إطار واقعهم الحياتي القاسي الذي تمرد على النظام القبلي السائد في العصر الجاهلي. يتبنى البحث المنهج الوصفي التحليلي، معتمداً على تحليل نصوص مختارة من شعر الصعاليك، بغية استنباط الصور الفنية والجمالية التي تتجلى في أشعارهم، مع تسليط الضوء على كيفية توظيفهم للغة الشعرية للتعبير عن مواقفهم إزاء قضايا أساسية كالوجود، الحرية، والشجاعة.

من خلال دراسة نماذج شعرية لشخصيات بارزة في هذا الشعر مثل عروة بن الورد، الشنفرى، تأبط شراً، والسليك بن السلكة، يتناول البحث القيم الأخلاقية التي تميز بها هذا النوع من الشعر، كالكرم، الشجاعة، والنبل. كما يستعرض البحث كيف انعكست هذه القيم في البناء الشعري العربي القديم، مما يبرز عمق التفاعل بين الشعر والواقع الاجتماعي.

تكشف نتائج الدراسة أن شعر الصعاليك لم يكن مجرد تعبير عن حياة التمرد والفقر، بل حمل في طياته فلسفة جمالية عميقة تتعلق بمفاهيم الحرية الفردية والكرامة الإنسانية. حيث تتجاوز القيم الجمالية في شعرهم الحدود الاجتماعية السائدة، لتلامس أبعادًا فلسفية أكثر عمقًا تتعلق بتصوراتهم عن الحياة والموت، ومعاني القوة والصبر. ويبرز البحث قدرة هؤلاء الشعراء على الابتكار اللغوي، لا سيما في استخدامهم للاستعارات والصور الفنية التي حولت تجاربهم الحياتية القاسية إلى تجربة جمالية مؤثرة.

تتجلى أهمية هذا البحث في ملء الفراغ البحثي المتعلق بجماليات شعر الصعاليك، حيث يسهم في توسيع أفق الدراسات حول الأدب الجاهلي من منظور نقدي جديد يتناول الجماليات الفنية والفلسفية. ويقدم البحث رؤية متجددة لشعر الصعاليك بوصفه جزءًا جوهريًا من التراث الأدبي العربي، مما يعزز الدراسات النقدية الأدبية حول الشعر الجاهلي، وخاصة في ما يتعلق بالجوانب الجمالية والإنسانية في أدب الصعاليك.

الكلمات المفتاحية: شعر الصعاليك، الجماليات في الشعر، العصر الجاهلي، التحليل الوصفي، القيم الإنسانية.

المقدمة:

يعد شعر الصعاليك من أبرز الأشكال الأدبية التي تميزت بها حقبة العصر الجاهلي، حيث نشأ في ظل حياة هامشية عاشها الصعاليك بعيدًا عن النسيج الاجتماعي القبلي الصارم. لقد عكست أشعارهم بيئة اجتماعية موحشة، تميزت بالفقر والتمرد والعنف، غير أن هذه الأبيات الشعرية ليست مجرد توثيق لتجارب حياتهم القاسية، بل تزخر بقيم جمالية عميقة تتجاوز مظهرها الخارجي، حيث تجسد هذه القصائد فلسفات جمالية متفردة حول الحرية، الكرامة، والشجاعة في مواجهة المصاعب.

وعلى الرغم من قلة الدراسات التي ركزت على الأبعاد الجمالية لشعر الصعاليك، إلا أن هذا الشعر ينطوي على عمق فلسفي وفني يعبر عن رؤى هؤلاء الشعراء للحياة والموت. إذ تتجاوز هذه النصوص النقدية المبسطة التي تصف شعرهم بمجرد أدب يعكس العنف والتمرد، إلى أبعاد جمالية راقية تعكس معاني أسمى من الإيثار، والشجاعة، والنبل.

يهدف هذا البحث إلى استكشاف القيم الجمالية الكامنة في شعر الصعاليك، وتقديم فهم أعمق للأبعاد الفنية التي تجسد رؤى هؤلاء الشعراء. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة نماذج مختارة من شعر الصعاليك، مع التركيز على توظيفهم للصور الفنية والبلاغية، وكيفية تجسيدهم لتجاربهم الخاصة ضمن إطار جمالي.

من خلال هذا التحليل، يسعى البحث إلى سد فجوة البحث المتعلقة بالجوانب الجمالية في شعر الصعاليك، وتقديم رؤية شاملة لأهمية هذا الشعر ليس فقط من زاوية اجتماعية أو تاريخية، وإنما من منظور جمالي يعكس إبداعًا فنيًا متميزًا.

مشكلة البحث:

تكمن إشكالية هذا البحث في التناقض الظاهري بين طبيعة الحياة القاسية التي عاشها الصعاليك على هامش المجتمع الجاهلي، وبين القيم الجمالية الرفيعة التي انعكست في نصوصهم الشعرية. فعلى الرغم من حياة التمرد والفقر التي عاشها هؤلاء الشعراء، واعتمادهم على الغارات والنهب كوسيلة للبقاء، إلا أن أشعارهم أظهرت فلسفة جمالية عميقة تُعبر عن قيم نبيلة مثل الشجاعة، الكرم، و النبل. هذا التناقض الظاهري يطرح تساؤلاً جوهرياً حول كيفية استطاعة شعراء الصعاليك التعبير عن هذه القيم الجمالية السامية في ظل حياة تتسم بالصراع والعنف.

إضافة إلى ذلك، غالباً ما تركزت الدراسات السابقة على الجوانب الاجتماعية والتاريخية لشعر الصعاليك، متجاهلةً إلى حد كبير الأبعاد الجمالية والفنية التي تتضمنها نصوصهم. هذا التجاهل يُبرز وجود فجوة بحثية تتطلب الاهتمام والتحليل، إذ أن شعر الصعاليك لم يكن مجرد تعبير عن العنف والتمرد، بل حمل في طياته رؤى جمالية عميقة تعكس نظرتهم إلى الحياة والطبيعة والمجتمع، وتُظهر مساهماتهم الفريدة في تشكيل الأدب العربي.

من هنا تنبثق مشكلة البحث، التي تتمحور حول تساؤلين رئيسيين: كيف تتجلى القيم الجمالية في شعر الصعاليك؟ وكيف يمكن أن يسهم التحليل النقدي لهذه القيم في تقديم فهم أعمق لهذا الأدب الجاهلي وإبراز مكانته في التراث الأدبي العربي؟

فرضيات الدراسة:

استنادًا إلى إشكالية البحث وأهدافه، تنطلق الدراسة من الفرضيات التالية:

1. شعر الصعاليك يعكس قيمًا جمالية متكاملة رغم قسوة ظروف حياتهم: على الرغم من حياة الصعاليك التي اتسمت بالتمرد والإغارة والمعيشة في بيئة صحراوية قاسية، إلا أن أشعارهم تتضمن قيماً جمالية متنوعة كالكرم، الشجاعة، والصبر. هذه القيم لا تقتصر على تصوير حياتهم اليومية فحسب، بل تمثل تعبيرًا عن فلسفة جمالية عميقة ترتكز على مفاهيم نبيلة في سياق اجتماعي مليء بالتحديات.
2. القيم الجمالية في شعر الصعاليك تتجاوز القيم الاجتماعية إلى أبعاد فلسفية أعمق: شعر الصعاليك لا يقتصر على تمردهم الاجتماعي ورفضهم للقيود القبلية، بل يتطرق إلى مواقف فلسفية عميقة تجاه مسائل الوجود، مثل الحياة والموت، الكرامة الفردية، والحرية. هذه القيم تمنح شعرهم أبعادًا فكرية تعكس وعيًا ميتافيزيقيًا حول المصير الإنساني.
3. شعر الصعاليك يُظهر ابتكارًا فنيًا ولغويًا يعكس إبداعًا جماليًا متفردًا: يتميز شعر الصعاليك بتفرد لغوي وصور بلاغية مبتكرة تبرز قدرتهم على تحويل تجاربهم الحياتية القاسية إلى جماليات مؤثرة. استخدامهم للاستعارات والتشبيهات يعكس إبداعًا أدبيًا يتجاوز التوصيف المباشر للحياة البدوية إلى أفق جمالي أرحب، مما يجعل القيم الجمالية جزءًا أصيلًا من إبداعهم الشعري.
4. تحليل القيم الجمالية في شعر الصعاليك يساهم في فهم أعمق لثقافة العرب في العصر الجاهلي: دراسة الأبعاد الجمالية والفنية في شعر الصعاليك تسهم في تشكيل رؤية أوسع عن المجتمع الجاهلي، وتكشف عن كيفية تعامل هذا المجتمع مع الطبقات المهمشة

مثل الصعاليك. كما يضيء التحليل على الأبعاد الإنسانية التي تجلت في قصائدهم، مما يعزز الفهم العميق للهوية الثقافية والأخلاقية للعرب في تلك الفترة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف الرئيسة التي تساهم في إغناء الفهم النقدي والجمالي لشعر الصعاليك، وذلك على النحو التالي:

1. تحليل القيم الجمالية في شعر الصعاليك: تسعى الدراسة إلى الكشف عن القيم الجمالية الكامنة في أشعار الصعاليك، وكيفية تجسيدها لرؤى هؤلاء الشعراء حول الحياة وظروفهم القاسية. تهدف إلى إظهار كيف عبر الصعاليك عن تلك القيم من خلال نصوصهم الشعرية التي عكست مواقف فلسفية عميقة تجاه قضايا الوجود.
2. استكشاف العلاقة بين الحياة الواقعية وتجسيدها في شعر الصعاليك: تسعى الدراسة إلى توضيح التأثير المباشر لحياة الصعاليك المتمردة والقاسية على مضامين شعرهم وأساليبهم الفنية، وكيف انعكست تلك الظروف الحياتية في تصويرهم الأدبي لعالمهم، من خلال توظيف الفن الشعري كوسيلة للتعبير عن معاناتهم وأفكارهم.
3. تقديم رؤية متكاملة لشعر الصعاليك كجزء من التراث الأدبي العربي: تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على شعر الصعاليك بوصفه جزءًا أصيلاً من التراث الأدبي العربي القديم، وإبراز دوره في رسم صورة لحياة العرب في العصر الجاهلي وثقافتهم، وتوضيح أهمية هذا الشعر في تشكيل الذاكرة الأدبية والثقافية.
4. تحليل الأساليب البلاغية والفنية في شعر الصعاليك: تهدف الدراسة إلى تحليل وتفسير الأساليب البلاغية والفنية التي وظفها شعراء الصعاليك للتعبير عن تجاربهم الحياتية. كما تستكشف كيف ساهمت تلك الأساليب في تعزيز الجوانب الجمالية في شعرهم، من خلال استخدام الاستعارات، التشبيهات، والتشخيص الفني.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة من جوانب متعددة، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. إبراز التراث الأدبي العربي: تسهم الدراسة في تسليط الضوء على شعر الصعاليك باعتباره جزءًا مهمًا من التراث الأدبي العربي القديم. فهو يُعدّ مرآة تعكس جوانب دقيقة من حياة العرب في العصر الجاهلي، لا سيما فيما يتعلق بالقيم الاجتماعية والفكرية والأخلاقية التي سادت تلك الحقبة.
2. توسيع الفهم حول الجماليات في الأدب العربي: من خلال تحليل القيم الجمالية المتجسدة في شعر الصعاليك، تعمّق الدراسة الفهم حول الإبداع الفني والجمالي الذي ميز هؤلاء الشعراء، وتوضح كيف استطاعوا التعبير عن مواقفهم الحياتية وصراعاتهم الداخلية باستخدام لغة شعرية مبتكرة تحوي الكثير من الدلالات الجمالية.
3. التأكيد على الأبعاد الإنسانية والفكرية لشعر الصعاليك: تبرز الدراسة الجوانب الإنسانية في شعر الصعاليك، مثل الشجاعة، الصبر، والتمرد على القيود القبلية التقليدية. هذه الرؤية تساعد على فتح آفاق جديدة لفهم أعمق لنفسية شعراء الصعاليك ودوافعهم وراء صياغة هذا النوع من الشعر الذي يجمع بين الذاتية والمشاعر العميقة.

4. إثراء الدراسات الأدبية والنقدية: تقدم الدراسة مادة علمية غنية تُثري مجالات الدراسات الأدبية والنقدية المتعلقة بالشعر الجاهلي، خاصة في مجال شعر الصعاليك. تدفع هذه المادة الأبحاث الأدبية إلى تناول موضوعات جديدة، مثل تحليل القيم الجمالية والفنية في النصوص الأدبية العربية القديمة، وهو ما يفتح أبوابًا جديدة للدراسات النقدية.

5. تقديم رؤية جديدة لشعر الصعاليك: تعد الدراسة إحدى المحاولات القليلة التي تسعى لتحليل شعر الصعاليك من منظور الجماليات الفنية والأدبية، بعيدًا عن النظرة التقليدية التي غالبًا ما تركز على البعد الاجتماعي والتاريخي فقط. هذه المقاربة تمنح الدراسة بعدًا نقديًا متميزًا يُسهم في تقديم قراءة جديدة ومختلفة لهذا النوع من الشعر.

6. تعزيز الحوار الثقافي والأدبي: من خلال تحليل القيم الجمالية والإنسانية في شعر الصعاليك، تساهم الدراسة في تعزيز الفهم المتبادل بين الثقافات المختلفة، إذ تبرز القيم الإنسانية المشتركة بين الأدب العربي والأدب العالمي، مثل الشجاعة، الحرية، والتمرد على الظلم. مما يجعل هذه الدراسة جسرًا لتعزيز التواصل الأدبي والثقافي بين الشعوب.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على الحدود التالي:

1. **الحدود الموضوعية:**

تركز الدراسة على شعر الصعاليك في العصر الجاهلي حصراً، مما يعني أنها لا تتناول سائر أشكال الأدب العربي القديم أو الحديث. وبذلك تقتصر الدراسة على حقبة زمنية معينة، دون التطرق إلى شعر الصعاليك في الفترات الإسلامية أو المتأخرة.

يُركز التحليل على النصوص الشعرية التي تُعبر عن الجمالية والفنية ضمن سياق حياة الصعاليك، مما يعني أن الجوانب الأخرى التي قد تكون موجودة في شعرهم، لم يتم تناولها بشكل شامل.

2. **الحدو الزمنية:**

الدراسة محصورة بفترة العصر الجاهلي فقط، وهو ما يحد من التحليل ليشمل الأدب الذي أُنتج خلال تلك الفترة. وعليه، فإن الدراسة لا تتناول تأثير الفترات اللاحقة على فهم الجمالية التي تجلت في شعر الصعاليك، ولا تُعالج التأثيرات المحتملة التي قد تكون أثرت على تطور هذا الشعر في المراحل التالية من تاريخ الأدب العربي.

مصطلحات الدراسة وتعريفاتها:

1. **الجمال في قاموس المعاني:**

يُعرَّف الجمال بأنه صفة تبرز في الأشياء وتثير في النفس شعوراً بالسرور أو إحساساً بالتناغم والانسجام. وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تُنسب إليها أحكام القيم: الجمال، الحق، والخير، وضده القبح. يعد الجمال ملكة طبيعية ترتبط بالطبع البشري للإنسان، ويتأصل في تكوينه عبر الزمن والمكان. وقد ارتبطت الدراسات الجمالية للأدب بمفاهيم علم الجمال، الذي يُعد من أقدم العلوم التي تناولها الفلاسفة وأصحاب النقد الأدبي، منذ أن بدأ الإنسان بتذوق الفنون وتقييم جمالها. فالجمال في الأدب والفنون لم يكن مجرد إحساس عابر، بل تعلق بعواطف الإنسان وأحاسيسه المتجذرة منذ القدم.

2. **الصعلوك في لسان العرب:**

الصعلوك هو الفقير الذي لا مال له، وقد جاء في "لسان العرب" أن التصعلك يعني فقدان المال واعتماد الإنسان على نفسه بعد انعدام مصادر العيش. في العصر الجاهلي، كان يُستخدم المصطلح للإشارة إلى أولئك الذين يعيشون على هامش المجتمع القبلي بسبب الفقر أو النبذ، وقد ظهر الصعاليك في أخبار وأشعار الجاهليين بكثرة. ومن أمثلة ذلك، قول حاتم الطائي:(مدرك، 1994،ص66)

غنَيْنَا زماناً بالتصعلكِ والغِنى ... فكُلاًّ سَقاناهُ بِكَأْسَيهِمَا الدَّهرُ

فما زَادَنا بَغْيًا على ذِي قَرَابَةٍ ... غِنَانَا ولا أَزْرَى بأَحْسابِنا الفَقرُ

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات شعر الصعاليك أو الجوانب الجمالية في الشعر العربي بشكل عام، غير أن هذه الدراسات تختلف عن دراستي التي تركز بشكل متعمق على القيم الجمالية في شعر الصعاليك. وفيما يلي عرض لأهم الدراسات التي استفدت منها في إعداد هذا البحث:

1. دراسة هلال جهاد (2007) بعنوان "جماليات الشعر العربي": ركزت هذه الدراسة على مفهوم الجمال في الشعر العربي بشكل عام، مع إشارة إلى الوعي الجمالي لدى الشعراء في العصرين الجاهلي والإسلامي، لكنها لم تتناول شعر الصعاليك بشكل خاص.
2. دراسة خالد زغريت (2011) بعنوان "القيم الجمالية بين الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام": تناولت هذه الدراسة مقارنة بين القيم الجمالية في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام، إلا أنها لم تُعالج شعر الصعاليك كموضوع مستقل.
3. دراسة حرشاوي جمال (2011) بعنوان "الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك": ركزت هذه الدراسة على الأساليب الفنية واللغوية في شعر الصعاليك، واشتملت على تحليل لبعض السمات الأسلوبية، إلا أنها لم تتناول القيم الجمالية بشكل معمق.
4. دراسة فاضل عبود التميمي (2014) بعنوان "التشكيل الاستعاري في شعر صعاليك العصر الجاهلي": ركزت هذه الدراسة على استخدام الاستعارة في شعر الصعاليك من منظور جمالي، غير أنها لم تتناول الجوانب الأخرى المتعلقة بالقيم الاجتماعية والفنية بشكل شامل.
5. دراسة عبد الحسن خضير عبيد (2007) بعنوان "القيم الجمالية في شعر عمر النص": تناولت هذه الدراسة القيم الجمالية في شعر الشاعر المعاصر عمر النص، مما يجعلها غير متعلقة بشكل مباشر بشعر الصعاليك.
6. دراسة انتصار مهدي عبد الله (2008) بعنوان "القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي": ركزت هذه الدراسة على القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي بشكل عام، وأبرزت الجوانب الاجتماعية والفكرية، لكنها لم تتناول القيم الجمالية في شعر الصعاليك.
7. دراسة الأمين محمد عبد القادر (2008) بعنوان "القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك": تناولت هذه الدراسة القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك، وركزت على تأثير البيئة الاجتماعية في تشكيل هذا الشعر، إلا أنها لم تُعالج الجوانب الجمالية بالتفصيل.

8. دراسة علي مصطفى عشّا بعنوان "جدل العصبية القبلية والقيم في الشعر الجاهلي": تناولت هذه الدراسة تأثير العصبية القبلية على بنية القصيدة الجاهلية، لكنها لم تتناول الجماليات في شعر الصعاليك بشكل خاص.

9. دراسة عبد الكريم محمد حسين (2012) بعنوان "جمال القيم عند الفرسان": ركزت هذه الدراسة على القيم الجمالية في شعر الفرسان خلال أواخر الجاهلية وصدر الإسلام، لكنها لم تتناول شعر الصعاليك.

10. دراسة رباح عبد الله علي بعنوان "مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي": تناولت هذه الدراسة مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، مع تركيز على مجتمعات الصعاليك، إلا أنها لم تُحلل القيم الجمالية بشكل كافٍ.

11. دراسة عادل محلو (2007) بعنوان "الصوت والدلالة في شعر الصعاليك": ركزت على الجوانب الصوتية والدلالية في شعر الصعاليك، مع تحليل صوتي لتائية الشنفرى، لكنها لم تتناول القيم الجمالية المتعمقة.

12. دراسة أحمد سلمان مهنا (2017) بعنوان "المرأة في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي والإسلامي": تناولت هذه الدراسة مكانة المرأة في شعر الصعاليك في العصرين الجاهلي والإسلامي، وركزت على دور المرأة في هذا الشعر، لكنها لم تتطرق إلى الجوانب الجمالية بشكل عام.

تُظهر هذه الدراسات السابقة تنوعًا في تناول شعر الصعاليك، لكنها في الغالب تركز على الجوانب الاجتماعية، الأسلوبية، أو الفكرية. تهدف دراستي إلى سد هذه الفجوة من خلال التركيز بشكل أكثر تفصيلاً على القيم الجمالية في شعر الصعاليك، مما يجعلها مساهمة جديدة ومهمة في مجال الأدب العربي الجاهلي.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة القيم الجمالية في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي. يهدف هذا المنهج إلى تقديم قراءة متعمقة للنصوص الشعرية من خلال وصف خصائصها الفنية والجمالية، مع تفسير كيفية تجسيد الشعراء للقيم الجمالية في قصائدهم، وذلك وفقًا للخطوات التالية:

1. **تحليل النصوص الشعرية:**

سيتم اختيار مجموعة مختارة من قصائد شعراء الصعاليك البارزين، مثل عروة بن الورد، الشنفرى، تأبط شراً، والسليك بن السلكة. تُخضع هذه النصوص لتحليل دقيق لاستخراج القيم الجمالية التي تجسد مفاهيم الرجولة، البطولة، والكرم، وغيرها من القيم التي تعكس حياة هؤلاء الشعراء.

2. **التركيز على الصور الجمالية والأساليب البلاغية:**

سيتم تحليل الصور الشعرية والأساليب البلاغية المستخدمة في شعر الصعاليك، مثل التشبيه، الاستعارة، والكناية. كما سيُعنى البحث بفهم كيفية توظيفهم لهذه الأدوات الجمالية في التعبير عن رؤاهم وتجاربهم الحياتية القاسية.

3. **ربط الجوانب الفنية بالسياق الاجتماعي:**

سيركز البحث على تفسير العلاقة بين الظروف الاجتماعية الصعبة التي عاشها الصعاليك، وبين تجسيدهم للقيم الجمالية في قصائدهم. سيتم تسليط الضوء على كيفية انعكاس بيئتهم الصحراوية القاسية وحياتهم المتمردة على اختيارهم للأساليب اللغوية والفنية، وكيف لعبت هذه الظروف دورًا محوريًا في تشكيل هذه الجماليات الفريدة.

4. **الاعتماد على الدراسات السابقة:**

سيتم الرجوع إلى الأدبيات والدراسات النقدية السابقة التي تناولت شعر الصعاليك والجوانب الجمالية في الشعر الجاهلي. هذا الاعتماد يهدف إلى الاستفادة من التحليلات السابقة لدعم الفرضيات المطروحة في الدراسة، وتقديم إطار نظري يستند إلى جهود الباحثين في هذا المجال.

5. **التحليل النقدي:**

سيُستخدم التحليل النقدي لتفسير النتائج المستخلصة من دراسة النصوص الشعرية. ستُقدَّم تفسيرات عميقة حول كيفية تجسيد شعراء الصعاليك للقيم الجمالية في أشعارهم، مع ربط هذه الجماليات بفلسفتهم حول الحياة والموت، ومواقفهم تجاه مفاهيم الحرية، القوة، والمصير .

وفي سياق هذه الخطوات، سيُختار نموذج شعري يمثل لوحة فنية جمالية متكاملة، وسيتم تحليل بنيتها الفكرية أولاً ثم بنيتها الجمالية. سيركز التحليل على دراسة الألفاظ التي تحمل دلالات الجمال، مع النظر في المظاهر الحسية والمعنوية للجميل المتجلي في هذه اللوحة. إضافةً إلى ذلك، سيتم تناول الصورة الشعرية والصدى النفسي كعنصرين مؤثرين في تجسيد الجمالية وإنتاج الإحساس الجمالي لدى المتلقي. سيعتمد هذا النهج كإطار عام لدراسة الجماليات في شعر الصعاليك، بهدف تقديم فهم معمق لأبعاد هذا الفن الشعري .

الفصل الأول:-

الشُّعراء الصعاليك طوائفهم وأغراض شعرهم

المبحث الأول: نشأة الصعلكة وأسبابها:

تعد نشأة الصعلكة جزءاً لا يتجزأ من تاريخ العرب قبل الإسلام، وهي نتاج طبيعي للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها بعض الأفراد على هامش المجتمع القبلي. كان تحديد بداية ظهور الصعلكة تحديًا نظرًا لغياب التوثيق الدقيق للتاريخ العربي قبل الإسلام. وقد أشار الجاحظ إلى أن الشعر الجاهلي كان حديث النشأة(الجاحظ 1965،ص74). ارتبطت الصعلكة بمظاهر التمرد والرفض لقوانين القبيلة، لكنها كانت أيضًا تعبيرًا عن مقاومة الفقر والحرمان الذي عانى منه الصعاليك.

أسباب الصعلكة:

يمكن تلخيص الأسباب التي دفعت الصعاليك إلى اتخاذ هذا الطريق العدواني والانفصال عن قبائلهم فيما يلي:

1. **الفرار من الفقر:** كان الفقر هو العامل الرئيس الذي دفع العديد من الصعاليك إلى التمرد على قبائلهم. فقد كان الجوع والحاجة يرافقان حياتهم اليومية، ويتضح ذلك جليًا في أشعارهم التي عبّرت عن معاناتهم المستمرة مع الفقر. ومن أبرز ما قاله عروة بن الورد في هذا السياق: (أبو بكر، 1998م، ص97)

دَعيني أُطَوِّف في البِلادِ لَعَلَّني ... أُفيدُ غِنىً فيهِ لِذي الحَقِّ مُحمِلُ

أَلَيسَ عَظيماً أَن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ ... وَلَيسَ عَلَينا في الحُقوقِ مُعَوَّلُ

فَإِن نَحنُ لَم نَملِك دِفاعاً بِحادِثٍ ... تُلِمُّ بِهِ الأَيّامُ فَالمَوتُ أَجمَلُ

يظهر في حياة الصعاليك صوت الجوع الذي تردد في أشعارهم، إذ كان الفقر يثقل كاهلهم طوال حياتهم، ولم يكن الهروب من القبيلة حلًا لهذه المعاناة. وقد أشار الدكتور جواد علي إلى أن: " الجوع حليف ملازم للصعاليك لم ينفر منهم ولم يبتعد عنهم لذلك كثر الحديث عنه في شعرهم وأخبارهم" (علي، 1993، ج9، ص606).

كما عبّر السليك بن السلكة عن أثر الجوع على جسده وعقله، وخاصة في فصل الصيف عندما كان الجوع يتسبب في رؤيته الدنيا مظلمة، حيث قال: (ثويني، 1984م، ص60)

وَما نِلتُها حَتّى تَصَعلَكتُ حِقبَةً ... وَكِدتُ لِأَسبابِ المَنيَّةِ أُعرَفُ

وَحَتّى رَأَيتُ الجُوعَ بِالصَيفِ ضَرَّني ... إِذا قُمتُ تَغشاني ظِلالٌ فَأُسدِفُ

2. **النُّفور من الهوان:** رفض الصعاليك الخضوع لقوانين القبيلة التي كانت تميز ضدهم بسبب أصولهم أو لون بشرتهم. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الشنفرى، الذي كان ابن أمة حبشية وتعرض للتمييز من قبيلته. فاختار التمرد على القبيلة والانتماء إلى طبقة الصعاليك. وفي قصيدة له يعبر عن تركه قبيلته: (الشنفرى، 1996، ص55)

أقيموا بَنِي أمي صدورَ مَطِيَّكم ... فإني إلى قومٍ سواكم لأَمْيَلُ

فقد حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرُ ... وشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطايَا وأَرْحُلُ

3. **اللجوء إلى السلاح:** دفعهم الظلم الاجتماعي والحرمان من حقوقهم إلى حمل السلاح، حيث لم يجدوا وسيلة أخرى للحصول على حقوقهم سوى القوة والاعتداء على القبائل التي أنكرت عليهم تلك الحقوق. لقد اعتبر الصعاليك أن حقهم في الحياة الكريمة لا يمكن تحقيقه إلا بالقوة والإكراه. ويعبر تأبط شراً عن هذا الموقف في قوله: (شاكر، 1984، ص 118)

لَسْتُ أَبِيتُ الدَّهْرَ إلاَّ عَلَى فَتَى ... أُسَلِّبُهُ أَوْ أُذْعِرُ السِرْبَ أَجْمَعا

هذا البيت يعكس مدى استعداده الدائم لاستخدام القوة للعيش والاستمرار في الحياة، حيث كانت الغارات والاعتداءات جزءاً من نمط حياته اليومي.

4. **التعويل على القوى الشخصية:** اشتهر الصعاليك بقدراتهم البدنية الفائقة وسرعتهم في العدو، وكان منهم من يضرب بهم المثل في القوة وسرعة الحركة، مثل السليك بن السلكة وتأبط شراً. وقيل في الأمثال: "عدى من السليك" و"أعدى من الشنفرى" (الميداني، 1955، ج1، ص46-47) ويُروى أن تأبط شراً كان من أسرع الناس عدواً على الأرض، وكان إذا جاع ولم يجد طعامًا، ينظر إلى الظباء فينتقي أسمنها بعينيه، ثم يجري خلفها دون أن تفر منه، حتى يُمسكها فيذبحها بسيفه ويشويها ليأكلها (الأصفهاني، 2008، ج21، ص95). وقد افتخر تأبط شراً بسرعته حين قال: (شاكر، 1984، ص133)

لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي لَيسَ ذا عُذَرٍ وَذا جَناحٍ بِجَنبِ الرَيدِ خَفّاقِ

إن الاعتماد على القوة البدنية والمهارة الشخصية كان جزءاً أساسياً من حياة الصعاليك، حيث ساعدتهم هذه القدرات في التكيف مع حياتهم الصعبة والمعيشة على أطراف المجتمع القبلي.

تشكلت ظاهرة الصعلكة كنتيجة طبيعية لمزيج من العوامل الاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك الفقر، التمييز القبلي، والحرمان من الحقوق الأساسية. لكنها لم تكن مجرد وسيلة للحصول على لقمة العيش، بل كانت تمرداً شاملاً على الهوان والإذلال، ورغبة في إثبات الذات واستعادة الكرامة. وتنعكس هذه الحياة القاسية بوضوح في أشعار الصعاليك، التي صورت تجاربهم الحياتية ومعاناتهم وآلامهم بلغة أدبية بليغة.

المبحث الثاني: طوائف الصعاليك:

تم تصنيف الصعاليك من قبل الأدباء والمؤرخين إلى ثلاث طوائف رئيسية، بناءً على الأسباب التي دفعتهم إلى سلوك طريق الصعلكة. ويعكس هذا التصنيف تنوع الظروف الاجتماعية والشخصية التي دفعت هؤلاء الأفراد إلى حياة التمرد والانفصال عن القبائل:

1. **الفقراء:**

تشمل هذه الطائفة الأفراد الذين كانوا يعانون من الفقر المدقع، ولم تكن لديهم مصادر كافية لكسب الرزق الكريم. كانت حياتهم اليومية عبارة عن صراع مستمر ضد الجوع والحاجة، وكانوا يعانون من التهميش والازدراء من قبل مجتمعهم بسبب فقرهم. دفعهم هذا الواقع القاسي إلى الخروج على قوانين القبيلة وامتهان الصعلكة كوسيلة للبقاء. ومن أبرز هؤلاء عروة بن الورد، الذي يُعد زعيمًا للصعاليك، وقد عبّر عن معاناته مع الفقر في قوله: (أبوبكر، 1998، ص 58)

دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقير
وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ

يُظهر هذا البيت كيف أن الفقر جعل صاحبه موضع ازدراء مجتمعه، رغم أن له حسبًا ونسبًا كريمًا، مما يدفعه للتمرد بحثًا عن حياة أفضل.

2. **الخلعاء:**

تشمل هذه الفئة الأفراد الذين تم نبذهم من قبائلهم نتيجة كثرة جرائمهم التي أثقلت كاهل القبيلة بالغرامات والفديات. بعد أن أرهقوا قبائلهم بالجرائم والمشاكل، تبرأت منهم القبائل علنًا في الأسواق، معلنة أنهم لم يعودوا تحت حمايتها أو جزءًا منها. ونتيجة لهذا

النبذ، لم يجد هؤلاء سبيلًا سوى الانخراط في حياة الصعلكة كوسيلة للبقاء والعيش. ومن أشهر الخلعاء: حاجز الأزدي، أبو الطمحان القيني، وقيس بن الحدادية.

3. **الأغربة السَّود:**

تُعرف هذه الطائفة باسم "أغربة العرب" نظرًا للون بشرتهم السوداء. كان هؤلاء غالبًا أبناء أمهات سوداوات، وقد رفضت قبائلهم الاعتراف بأنسابهم على الرغم من أن آباءهم كانوا عربًا. ونتيجة لهذا الرفض الاجتماعي والتمييز الذي تعرضوا له، لم يُمنحوا حقوقهم الكاملة ولم يُعترف بهم كأعضاء كاملي العضوية في القبيلة. كان الانعزال عن المجتمع والانخراط في حياة الصعلكة هو الخيار الذي لجأ إليه كثير منهم. من أبرز هؤلاء الشنفرى، تأبط شرا، والسليك بن السلكة. وقد عبّر الشنفرى عن نفوره من قبيلته وقراره بالابتعاد عنها في قوله:(الشنفرى،1996، ص55)

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ

يعبر الشنفرى هنا عن رغبته في الانعزال عن قبيلته والتوجه إلى قوم آخرين، إذ أن كرامة الإنسان تتطلب الابتعاد عن الأذى والاحتقار.

يُظهر هذا التصنيف للطوائف الصعلكية تنوع الدوافع التي قادت هؤلاء الأفراد إلى حياة الصعلكة، سواء كان ذلك بدافع الفقر المدقع، النبذ الاجتماعي، أو التمييز العرقي .كانت حياتهم تمثل تمردًا على الظروف القاسية ورغبة في الانتقام من الظلم الذي عانوا منه .ويتجلى هذا الصراع الشخصي والاجتماعي بوضوح في شعرهم، الذي يعكس تجاربهم ومعاناتهم، مما يجعل شعر الصعاليك مرآة تعكس طبيعة حياتهم البائسة وروحهم الثائرة.

المبحث الثالث: أغراض شعر الصعاليك:

يُعد شعر الصعاليك وثيقة حيّة تعبّر بصدق عن تجاربهم القاسية وظروف حياتهم المضطربة، حيث سجّلوا فيه ما عايشوه من مشاعر وأحداث ومغامرات. فكان شعرهم بمثابة مرآة صادقة لواقعهم اليومي، يعكس مصاعبهم وتحدياتهم. وتتنوع أغراض شعرهم، بما يتناسب مع طبيعة حياتهم، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

1. **الفقر والجوع:**

كما سبق الذكر، كان الفقر والجوع من أبرز الأسباب التي دفعت الصعاليك إلى سلوك طريق التمرد، مما جعلهما من أهم الموضوعات التي تناولها شعرهم. فقد عبّر الصعاليك في قصائدهم عن معاناتهم اليومية وصراعاتهم المستمرة مع ظروف الحياة القاسية. صوّروا الفقر كعدوّ لا بد من مقاومته، وظهر ذلك بجلاء في أشعار تأبط شراً وعروة بن الورد، حيث قدما صوراً مؤثرة تعكس حياتهم المتقشفة ومعاناتهم مع الفقر. يقول تأبط شراً: (شاكر،1984،ص115)

قَلِيلُ أَدِّخارِ الزَّادِ إلاّ تَعِلّةً فَقَدْ نَشَزَ الشُّرْسُوفُ والتَصَقَ الْمِعا

وفي سياق آخر، يصوّر عروة بن الورد مأساة الفقر التي عاشها بقوله:(أبوبكر،1998،ص 51)

ومَن يَكُ مِثْلِي ذا عِيالٍ ومُقْتِرًا يُغَرَّرْ ويَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

في هذه الأبيات، يظهر بوضوح أن الفقر لم يكن مجرد حالة مادية، بل كان معركة مستمرة يخوضها الصعاليك في سبيل البقاء، وقد دفعهم ذلك إلى المجازفة بحياتهم من أجل كسب لقمة العيش، مع إدراكهم التام بأن الفقر عدوّ دائم يصعب التخلص منه.

أما الجوع، فقد كان جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وكان له حضور كبير في أشعارهم. وقد صوّر الشعراء الجوع بأسلوب مؤلم يعكس قساوة هذه التجربة وأثرها النفسي والجسدي عليهم.يقول الشنفرى في مواجهته للجوع:(الشنفرى،1996،ص 58)

أَديمُ مِطالَ الجوعِ حَتّى أُميتَهُ وَأَضرِبُ عَنهُ الذِكرَ صَفحاً فَأَذهَلُ

وَأَستَفُّ تُربَ الأَرضِ كَيلا يَرى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَولِ اِمرُؤ مُتَطَوِّلُ

2. أحاديث المغامرة:

كانت المغامرات جزءًا لا يتجزأ من حياة الصعاليك، إذ أضفى الشعراء عليها طابعًا بطوليًا يتغنون فيه بفخر بإنجازاتهم في الغارات وانتصاراتهم في مواجهة الأعداء. يتجلى هذا الفخر بشكل واضح في "تائية" الشنفرى، التي يصف فيها تفاصيل إحدى الغارات التي قادها ببراعة وشجاعة:(الشنفرى،1996،ص 37)

وَباضِعَةٍ حُمرِ القِسِيَّ بَعَثتُها وَمَن يَغزُ يَغنَم مَرَّةً وَيُشَمَّتِ

خَرَجنا مِنَ الوادي الَّذي بَينَ مِشعَلٍ وَبَينَ الجَبا هَيهاتَ أَنشَأتُ سُرَبَتي

أُمَشّي عَلى الأَرضِ الَّتي لَن تَضُرَّني لِأَنكِيَ قَوماً أَو أُصادِفَ حُمَّتي

أُمَشّي عَلى أَينِ الغَزاةِ وَبُعدَها يُقَرِّبُني مِنها رَواحي وَغُدوَتي

في هذه الأبيات، يصور الشنفرى الغارة كفعل بطولي يتطلب شجاعة ومهارة فائقتين، في تعبير جلي عن الفخر بالقدرة على قيادة الغارات والتغلب على الأعداء.

3. وصف الأسلحة :

كانت الأسلحة جزءًا لا غنى عنه في حياة الصعاليك، إذ اعتمدوا على كل من الأسلحة المادية والروحية لمواجهة الحياة القاسية. تضمنت الأسلحة المادية السيوف والرماح والأقواس والسهام، إلى جانب الدرع والترس والمغفر. وقد ألحَّ الشعراء الصعاليك في الحديث عن هذه الأسلحة ووصفها بتفاصيل دقيقة، سواء من حيث اللون أو الشكل أو الصوت أو كيفية استخدامها(خليف، ص 215)، على سبيل المثال، يقول عمرو بن براقة عن سيفه :(علاونة، ص109.)

وَكَيفَ يَنامُ اللَيلَ مَن جُلُّ مالِهِ حُسامٌ كَلَونِ المِلحِ أَبيَضُ صارِمُ

كما يصف الشنفرى قوسه أحيانًا بالحمراء:(الشنفرى، 1996،ص56)

وَباضِعَةٍ حُمرِ القِسِيَّ بَعَثتُها وَمَن يَغزُ يَغنَم مَرَّةً وَيُشَمَّتِ

وفي أحيان أخرى، يصفها بالصفراء:(الضبي،1964،ص 111)

ثَلاثَةُ أَصحابٍ فُؤادٌ مُشَيَّعٌ وَأَبيَضُ إِصليتٌ وَصَفراءُ عَيطَلُ

ولكن لم تكن الأسلحة المادية وحدها كافية لضمان البقاء في الحياة الصعبة التي عاشها الصعاليك، فقد أشاروا أيضًا إلى الأسلحة الروحية التي تمثلت في الجرأة والشجاعة والاستخفاف بالموت، وكذلك الحذر الشديد. كانوا لا يغمضون أعينهم أثناء النوم، وإن ناموا كانت قلوبهم حارسة. يقول أحدهم:(المرزوقي،2003،ص72)

إِذَا خَاطَ عَيْنَيْهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِئٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فاتِكِ

وَيَجْعَلُ عَيْنَيْهِ رَبِيئَةَ قَلْبِهِ إِلى سَلَّةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقَ بَاتِكِ

4. **الحديث عن الرفاق:**

كان الرفاق عنصرًا أساسيًا في حياة الصعاليك، حيث عبّروا في أشعارهم عن التكاتف والصداقة التي جمعتهم في مغامراتهم وغاراتهم. وترددت في شعرهم ألفاظ كثيرة تعبر عن الجماعة والتآزر مثل "الرجل"، "المنسر"، "السربة"، "المقنب"، "الفتيان"، و"الأصحاب"، مما يدل على الحياة الجماعية وروح التعاون التي كانت تسود بينهم(خليف، ص205)، بّر الشنفرى عن التكاتف والتعاون بين الصعاليك في الغارات، وكيف كان الرفاق يشكلون عصب الحياة بالنسبة لهم في مواجهة التحديات، حيث يقول عن رفاقه في إحدى الغارات:(الشنفرى، 1996،ص34)

خَرَجْنَا فَلَمْ نَعْهَدْ وَقَلَّتْ وَصَاتُنَا ثَمَانِيَةٌ ما بَعْدَها مُتَعَتَّبُ

سَراحِينُ فِتْيَانٌ كأَنَّ وُجُوهَهُمْ مَصَابِيحُ أَوْ لَوْنٌ مِنَ المَاءِ مُذْهَبُ

نَمُرُّ بِرَهْوِ الماءِ صَفْحا وَقَدْ طَوَتْ شَمَائِلُنَا والزَّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ

ثلاثا على الأقْدامِ حتَّى سَمَا بِنَا على العَوْصِ شَعْشاعٌ مِنَ القَوْمِ مِحْرَبُ

5. **الحديث عن الوحوش:**

نظرًا لحياة الصعاليك في البرية، كان لشعرهم نصيب وافر من تصوير حيوانات الصحراء ووحوشها، إذ برزت في قصائدهم العلاقة التي تجمعهم بتلك المخلوقات. وليس من المستغرب أن يجد الصعلوك في الوحوش ما يعجز عن إيجاده في البشر، كصفات الصدق والقوة والكرم. بل ربما رأى في تلك الوحوش أهلاً له أكثر من قومه. ويعبّر الشنفرى عن هذا التآلف مع الوحوش حين يفضّلها على قومه الذين خانوه، قائلاً:(الشنفرى، 1996،ص55)

ولي دونكم أَهْلُونَ سِيْدٌ عَمَلَّسٌ وأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأهْلُ لا مُستَودَعُ السِرِّ ذَائعٌ لدَيْهم ولا الجَانِى بما جَرَّ يُخْذَلُ

6. **وصف الهموم:**

كانت الهموم جزءًا لا يتجزأ من حياة الصعاليك، فقد صوّروها في أشعارهم وكأنها عدوٌّ لا يقل ضراوة عن الأعداء الذين يواجهونهم في معاركهم المادية. في لاميته الشهيرة، يصف الشنفرى همومه التي تتوالى عليه، وتعود باستمرار كما تعود الحمى، ثقيلة في شدتها ولا تتركه لحاله. يقول:(الشنفرى، 1996،ص62)

وَإِلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُه ... عِيَادًا كَحُمَّى الرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ

إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَا ثُمَّ إِنَّها ... تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتٍ وَمِنْ عَلُ

من خلال استعراض نشأة الصعلكة، وأسباب ظهورها، وكذلك طوائف الصعاليك وأغراض شعرهم، يتضح أن هذه الظاهرة لم تكن مجرد حالة تمرد على قوانين القبيلة، بل كانت نتيجة لعوامل اجتماعية واقتصادية متشابكة. دفعت هذه العوامل بعض الأفراد إلى الخروج عن القواعد التقليدية للمجتمع، واختيار حياة الصعلكة كبديل. كان شعر الصعاليك بمثابة مرآة عاكسة لواقع حياتهم اليومية وما عايشوه من معاناة. وقد عبّر عن روحهم القتالية وحبهم للحرية، وتمردهم على الظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي عاشوه، ليصبح بذلك أدب الصعاليك جزءًا مهمًا من التراث العربي، يمثل نضالهم وكفاحهم ضد قسوة الحياة.

الفصل الثاني :الجمالية في شعر الصعاليك

مدخل: نشأة علم الجمال ودراسته

يُعد علم الجمال من أقدم العلوم التي لفتت اهتمام الفلاسفة ودارسي الفنون والأدب، حيث واكب الإنسان منذ بداية تفاعله مع الطبيعة والفن. وارتبطت المفاهيم الجمالية بالخصائص الإنسانية وما يعتمل في النفس من عواطف وأحاسيس. فقد كان التذوق الجمالي قديمًا قدم الإنسان نفسه، كما أشار ر. ف. جونسون إلى أن المفاهيم الجمالية تعني في معناها الواسع "محبة الجمال كما يظهر في الفنون أولاً، وفي كل ما يحيط بنا من العالم المحسوس"(جونسون،1983،ج1،ص269)، يرتبط هذا التذوق بقيم ومفاهيم تم تطويرها عبر الزمن، لتشكل نظريات جمالية متعددة.

في العصور القديمة، ظهرت هذه المفاهيم في المدن اليونانية وآسيا الصغرى، حيث ناقش الفلاسفة مثل هوميروس، فيثاغورس، هيراقليط، سقراط، أفلاطون، وأرسطو الجمال من زوايا فلسفية وفنية متنوعة(برجاوي،1981، ص15).

أما في الفكر العربي، فقد بدأت ملامح الرؤية الجمالية تتشكل في القرن الثامن الميلادي مع الجاحظ، الذي اهتم بالجمال وربطه بالاعتدال والتناسق. يقول الجاحظ: "الجمال أدق وأرق من أن يدركه كل من أبصره"(الجاحظ،1964،ج2،ص162)، ويضيف: "معرفة وجوه الجمال والقبح لا تتأتى إلا للثاقب النظر، الماهر البصر في الصناعة"(الجاحظ،1964،ج2،ص162). وبهذا، كان الجاحظ يقود مفهوم الجمال نحو اكتساب دلالاته التجريدية التي ارتبطت بالاستعمال فيما بعد، لاسيما في العصر الحاضر، إلى جانب دلالاته الحسية في الأصل(عاصي،1981م ، ص175).

في العصور الوسطى، قدم عبد القاهر الجرجاني رؤية جمالية مهمة في الأدب من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، حيث شبّه عمل الناظم بعمل النقاش الحاذق الذي "يأخذ الأصباغ المختلفة، فيتوخى فيها ترتيباً تحدث عنه ضروب من النقش والوشي"(الجرجاني،2000،ص350)،ربط الجرجاني الجمال بالحالة النفسية للمتلقي، مؤكدًا تأثير جمال الفن والكلام في النفوس. وبهذا، ساهم الجرجاني في إرساء أسس فنية لتذوق الأدب وفهم جمالياته.

أما ابن خلدون، فقد تطرق إلى مفهوم البيان، ووصفه بأنه علم وفن في آن واحد: "البيان مرة بالعلم ومرة أخرى بالفن، وهو مدرك الفرق بين العلم، لأي نشاط، بوصفه قواعد وحدوداً، وبين الفن باعتباره دربة وملكة وذوقاً"(أبو علي،1989،ص98)، وتحدث عن أهمية التوازن بين القواعد الصارمة والذوق الفني في الكتابة، موضحًا أن البلاغة والجمال يكمنان في طريقة عرض الكلام بحيث يصبح مؤثرًا وجميلًا. ويقول في وصفه: "لما كانت العرب تضع الشيء، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة به، فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال، واحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ"(ابن خلدون،2004،ج2،ص 372).

لقد مر علم الجمال بعدة تطورات تاريخية حتى نضج وصار علمًا فلسفيًا قائمًا بذاته. بدأ هذا العلم في صياغته الكاملة مع هيغل في كتابه (محاضرات في علم الجمال)(الرشيد،2002، ص27) حيث أضاف لمسات فلسفية على مفهوم الجمال. لاحقًا، أسس الفيلسوف باومجارتن مع إيمانويل كانت اللبنات الأولى لعلم الجمال المادي، حيث تمحور اهتمامهم حول دراسة العلاقة بين الإنسان والجمال في الفن والأدب. سعى هؤلاء الفلاسفة إلى دراسة العلاقة بين الإنسان والجمال في الفن والأدب، مما أدى إلى ظهور مصطلحات جمالية مختلفة مثل" علم الجمال البنيوي، وعلم الجمال اللغوي، وعلم الجمال الدلالي، وعلم الجمال الشكلي، وعلم الجمال النفعي، وعلم الجمال الاجتماعي، وعلم النفس الجمالي"(الحنفية،1978،ص 288).

تجلت جهود علماء الجمال في طرح مفاهيم نقدية ترتكز على علم الجمال باعتباره مجالًا لدراسة الأدب والفنون، وأسهمت هذه المفاهيم في نشر أسس النقد الجمالي وتحديد المقولات الجمالية. على سبيل المثال، اعتبر كل من إدموند بوركه وإيمانويل كانت مقولتي الجمال والجلال أساسًا لتصنيف القيم الجمالية. كما صنف بعض العلماء المقولات إلى نسق سداسي يضم: الجميل ونقيضه القبيح، والجليل (الرائع أو السامي) ونقيضه التافه، والمأساوي والهزلي(بلوز،1983، ص94–95). ومن بين هؤلاء العلماء، سعى شارل لالو إلى تنظيم هذه التصنيفات بناءً على "قانون التناسق العام"، الذي اعتبره أكثر سهولة وقربًا للتطبيق، وجاء تصنيفه كما يلي:(لالو،1959،ص66.)

التناسق	متحققاً	ملتمساً	مفقوداً
في الناحية العقلية	جميل	رائع	ظريف
في الناحية الفاعلية	فخم	مؤثر	مضحك
في الناحية الانفعالية	لطيف	مفجع	تهكمي

ي محاولة لتبسيط هذه المقولات، اقترح عبد الكريم اليافي تصنيفًا يتضمن أربع قيم أساسية متقابلة، وهي" الجمال والروعة والرقة والضحك،"(اليافي،1996،ص 31) ووضعها في جوانب دائرة سماها "دائرة المحاسن".

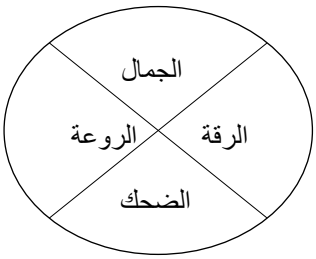

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد الثالث والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2024م
www.ajsp.net

سعى الباحثون في علم الجمال إلى تأسيس منهج نقدي يهدف إلى وضع أسس علمية وقوانين لضبط الجمال في الأدب والفنون. علم الجمال لا يقتصر على المظهر الخارجي، بل يبحث في كيفية ارتباط الجمال بالقيم الإنسانية. وكما أوضح عدنان الرشيد، قد يكون العمل الفني جميلًا من الناحية البصرية، لكن إذا كان هدفه مناهضًا للإنسانية، فإنه يفقد قيمته الجمالية(الرشيد، 2002، ص26). تكمن أهمية علم الجمال في وضع معايير نقدية لتحليل الفنون واكتشاف جمالياتها. وعند الجمع بين الدراسة الجمالية والتحليل النفسي والفني، يمكن ربط الجمال بمكونات فكرية ونفسية أعمق، مما يزيد من فهم الجماليات في الأدب.

القيم الجمالية في الأدب والشعر:

تمثل القيم الجمالية محورًا مهمًا في دراسة الأدب والشعر، إذ تكتسب أهميتها من دورها في تحديد المعايير التي توجه سلوك الأفراد والمجتمعات. لهذا السبب، تم الاعتماد على مفهوم القيم بدلاً من المفاهيم، لأنها تحمل دلالات أعمق على المستوى الجمالي، بالإضافة إلى ما تحمله من مضامين أخلاقية وفكرية وسلوكية. تشكل القيم مجموعة من المبادئ التي توجه سلوك الفرد والجماعات، وتكون بمثابة معيار اجتماعي يقيس مدى انسجام الفرد مع مجتمعه أو تحقيق المجتمع لهويته الحضارية. كما أشار محمد عزيز نظمي سالم إلى أن القيم الجمالية هي "مجموعة القوانين الثقافية المشتركة التي يتم وفقها تقويم الرغبات والحاجات"(سالم، ص35)، وهي تعبر عن "مفهوم اجتماعي يشير إلى الحسن"(سالم، ص39).

يتعلق مفهوم الحسن والانسجام بفكرة "الجمال" التي نشأت في الفكر العربي القديم، وارتبطت بدلالات حسية في الأساس. وكما يوضح الجذر اللغوي لكلمة "جميل"، فإنه يشير إلى "الشحم يذاب، ثم يجمع"(ابن منظور، مادة جمل)،ويُستخدم للتعبير عن الحسن الذي يُضاد القبح. هذا المعنى، الوارد في لسان العرب وتاج العروس، لم يقتصر على الدلالات الحسية فقط، بل امتد ليشمل المعاني المعنوية. وقد وصف ابن قتيبة في أدب الكاتب الجمال بأنه "الجميل الودك بعينه"(ابن قتيبة،1958،ص83)، مشيرًا إلى أن وصف الرجل بالجميل يعني أن ماء السمن يجري في وجهه، وهو تعبير عن النضارة والبهاء.

لقد جمع العرب في مفهومهم للجمال بين الحسي والمعنوي، بحيث أصبح هذا المفهوم يجسد القيم الأخلاقية إلى جانب المظهر الخارجي. كما أوضح المقري في قوله: "الجمال رياش، والحسن صورة، والملاحة روح"(المقري ،1988،ج 3،ص167.)، مما يبرز تمييز العرب بين ما هو ظاهر للعين وبين ما هو أعمق ومرتبط بالجوهر الداخلي.

من خلال هذا السياق، نستطيع استخلاص ملامح المفهوم العام للقيم الجمالية التي تمزج بين الحسي والمعنوي. وهكذا، تصبح الجمالية "جملة المثل والمبادئ التي توجه سلوكنا الجمالي، سلبًا كان ذلك أو إيجابًا"(خليل،1996، ص40). في هذا البحث، سيتم الاعتماد على تصنيف يشمل الجميل، والجليل، والبطولي، والسامي، مع التركيز على القيم التي تتناسب مع طبيعة المجتمع العربي في العصر الجاهلي. كانت هذه القيم متجسدة بشكل خاص في أشعار الصعاليك، الذين تغنوا بها في قصائدهم، مما يجعل شعرهم تعبيرًا صادقًا عن تجاربهم الحياتية والقيم التي مثلت جوهر ثقافتهم.

المبحث الأول:- الجميل في شعر الصعاليك

يُعد الإحساس بالجمال طبعًا أصيلًا لدى البشر، وهو وسيلة لإدراك الوجود وتحقيق الذات، سواء من خلال المتع المادية أو النفسية. يرتبط هذا الإحساس بالطبيعة الإنسانية، مما يمنحه طابعًا ثابتًا في معايير التذوق الجمالي العامة. كما يقول دنيس هويسمان: "ضرورة الرضاء في حكم الذوق، هي ضرورة ذاتية، غير أنها تتمثل في شكل موضوعي حين يفترضها الحس المشترك"(هويسمان،ص38).

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد الثالث والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2024م
www.ajsp.net

إنها نوع من النشوة الذاتية التي ترتبط بالشيء الجميل، فتبدو اللذة والمتعة كأنها تنبع من الشيء نفسه، وليس من النفس البشرية فحسب، كما عبّر عنه جورج سانتيانا(سانتيانا، ص29).وهذا الإحساس بالجمال يدفع الإنسان إلى التفاعل مع ما حوله بطريقة يمزج فيها متعته الذاتية مع العناصر الجمالية المحيطة، فيرى الجمال كأنه ينعكس منه. ومع ذلك، تختلف الأذواق في الإحساس بالجمال نتيجة لاختلاف الطبائع وتكوينها الثقافي والنفسي والبيئي.

تلعب البيئة الاجتماعية والثقافية دورًا محوريًا في تشكيل الإحساس الجمالي لدى الأفراد وهويتهم الجمالية. وقد أشار الجاحظ إلى أن الإحساس بالجمال "أدق وأرق من أن يدركه كل من أبصره"(الجاحظ،1964،ج2،ص162). من هذا المنطلق، يمكننا فهم كيف نقل المجتمع الجاهلي، وخاصة مجتمع الصعاليك، إحساسهم بالجمال عبر شعرهم. كان الشعر الجاهلي ليس مجرد سجل لأحداث حياتهم، بل وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وإحساسهم بالجمال بعمق وصدق.

الشعر عند العرب كان يمزج بين التصوير والموسيقى، وهو ما يميزه عن شعر الأمم الأخرى، كما أشار أدونيس: "الشعر العربي تميزه عن شعر الأمم الأخرى"(أدونيس،1989،ص14).هذا المزيج بين النفسي والأسطوري والوجودي والديني والاجتماعي يعكس الرؤية الجمالية التي تجسدت في شعرهم. وفي هذا السياق، نجد أن الشعر الجاهلي كان تعبيرًا جماعيًا عن القيم الجمالية التي تبناها المجتمع.

من أهم مظاهر الجمال في الشعر الجاهلي كان تصوير المرأة. كما يقول قصي الحسين: "مفهوم الجميل في قصائدهم يكاد يكون متمركزًا حول المرأة، فهي تمثل بالنسبة لهم تجسيدًا للجمال"(الحسين،1993، ص157).المرأة في المجتمع الجاهلي كانت محورًا رئيسيًا للجمال، وحضر ذكرها في العديد من القصائد، حيث ارتبطت صورتها ليس فقط بجمال الجسد، بل بصفات أخلاقية وفكرية مثل الشجاعة والذكاء والقيادة، كما نرى في شخصيات مثل هند بنت الخس والزرقاء ورابعة القيسية، ومعاذة العدوية، ومارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث الكندية.(الحوفي،1980، ص524)

مثلت المرأة في الشعر الجاهلي الجمال الأسمى، وكانت تجسيدًا أعمق لإحساس الشعراء بالجمال. لم يكن الجمال مقتصرًا على المظهر الخارجي فقط، بل كانت المرأة تجسد قيم الجمال المعنوي والخلقي. وقد عبر الشعراء عن إدراكهم الضيق للحياة من خلال المرأة، فجعلوا منها تعبيرًا واسعًا ومفتوحًا عن جمال الكون. وكان الجمال الجسدي يتكامل مع الصفات الخلقية، حيث مجد الشعراء المكارم الأخلاقية عندما اقترنت بمفاتن جسدية. ومن خلال إشراق وجه المرأة، وحور عينيها، وطول جيدها، واعتدال قامتها، كان الشعراء يسعون إلى الجمال جسدًا وروحًا، كما أشار فيصل: "الجمال يتجسد في إشراق الوجه وحور العينين، وطول الجيد واعتدال القامة"(فيصل، 1959، ص 178).

تصوير الجمال في شعر الجاهليين والصعاليك:

ركز الشعراء الجاهليون اهتمامهم في تصوير المرأة على جمالية تكوين جسدها الخارجي، مبرزين توازن وانسجام أجزائه. كان الجمال الجسدي في الشعر الجاهلي يُعرَّف على أنه "يتحقق في الجمع المتناسق بين الأجزاء التي يمكن الإحاطة بها بنظرة واحدة"(مرعي، 1991، ص 58). على سبيل المثال، وصف امرؤ القيس المرأة بأنها ضامرة البطن، ممتلئة الردف والساق، مطيعة لأوامره، كما يتجلى في أبياته التالية:(الزوزني،ص25-27)

هَصَرْتُ بفَوْدَيْ رأسِها فتَمايَلَتْ عليّ هَضيمَ الكَشحِ رَيَّا الْمُخلخَلِ

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءَ غيرُ مُفاضةٍ ترائبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ ليسَ بفاحشٍ إذا هي نَصّتْهُ وَلا بِمُعَطَّلِ
وَفَرْعٍ يَزِينُ الْمَتنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أثيثٍ كَقِنْوِ النخلةِ الْمُتَعَثْكِلِ

في هذا الوصف، يرسم امرؤ القيس صورة متكاملة لجمال المرأة، إذ يعكس توازن ملامحها الجسدية مع إشارات إلى نعومتها وقوامها الرشيق.

أما في شعر الصعاليك، فقد أسهمت المرأة في تشكيل البنية التشبيهية التي عبرت عن مشاعرهم وأحاسيسهم. أحيانًا كان الشعراء يستعرضون جمالها ومفاتنها، وأحيانًا أخرى يصورون آلامهم أو معاناتهم لفراقها. وقد مزج بعضهم بين الجمال الجسدي والخلقي، بينما ركز آخرون على جمالها النفسي باعتباره أعلى مراتب الجاذبية الروحية.

على سبيل المثال، يجمع السليك بن السلكة بين جمال الخلقة والخلق في وصفه للمرأة التي يتمناها. فهو يشيد بجمال أخلاقها، حشمتها، وكرمها، قبل أن ينتقل لوصف جسدها بطريقة تنسجم مع رؤية الجاهليين للجمال:(ثويني،1984،ص55)

كَأَنَّ مَجامِعَ الأَردافِ مِنها نَقَىً دَرَجَت عَلَيهِ الريحُ هارا
يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلبي وَيَتَّبِعُ المُمَنَّعَةَ النوارا
وَما عَجِزَت فَكيهَةُ يَومَ قامَت بِنَصلِ السَيفِ وَاِستَلَبوا الخِمارا
غَذاها قارِصٌ يغدو عليها ومحضٌ حينَ تنتظر العِشَارا

فيمزج الشاعر بين جمال الجسد الذي يشبهه بقطعة رمل صقلتها الرياح وبين أخلاق المرأة النبيلة. فهو يعشق المرأة التي لا تُبتذل وتتمسك بالحشمة والحياء، مما يعكس رؤيته المتكاملة للجمال كجسد وأخلاق.

وما تأبط شراً، فقد اعتمد على بنية تشبيهية مستمدة من بيئته الصحراوية، ليصور جمال محبوبته بربط خصرها النحيل بقناة رمح مستقيمة، وحركتها بحركة حية بيضاء تتهادى على كثيب الرمل: (شاكر،1984،ص145)

بِأَنيسَةٍ طُوِيَت عَلى مَطوِّها طَيَّ الحِمالَةِ أَو كَطَيِّ المَنطِقِ
فَإِذا تَقومُ فَصَعدَةٌ في رَملَةٍ لَبِدَت بِرَيِّقِ ديمَةٍ لَم تُغدِقِ
وَإِذا تَجيءُ تَجيءُ تَسحَبُ خِلتَها كَالأَيمِ أَصعَدَ في كَثيبٍ يَرتَقي

في هذا التصوير، يشبّه الشاعر خصر المرأة بحمالة السيف، وحركتها بحركة الأيم (الحية البيضاء) التي ترتقي على كثيب الرمل. تعكس هذه الصورة التشبيهية جمال المرأة في عينيه كرمز للرشاقة والرقة والنعومة.

وعند عروة بن الورد، اعتمد الشاعر على الخيال في صياغة تشبيهاته لجمال المرأة، فيقول:(أبوبكر،1998،ص63)

بِآنِسَةِ الحَديثِ رُضابُ فيها بُعَيدَ النَومِ كَالعِنَبِ العَصيرِ

يشبه الشاعر حديث المرأة بعذوبة عصير العنب، حيث يستمد تشبيهه من طبيعة نضرة، ويمزج بين جمال حسي ومعنوي يجسد الرقة والنعومة.

أما قيس بن الحدادية، فقد عبّر عن معاناته وحزنه لفراق محبوبته باستخدام التشبيه، ليصور حال قلبه المنكسر :(الضامن، 1990،ص39)

وَإِنّي لَأَنهى النَفسَ عَنها تَجَمُّلًا وَقَلبي إِلَيها الدَهرَ عَطشانُ جائِعُ

كَأَنَّ فُؤادي بَينَ شِقَّينِ مِن عَصًا حِذارَ وُقوعِ البَينِ وَالبَينُ واقِعُ

في هذا التشبيه، يصور الشاعر قلبه المنقسم كما لو كان شقين من عصا تتصدع تحت وقع الفراق. يجسد هذا التشبيه عمق الألم والمعاناة التي يعيشها الشاعر نتيجة الفراق، ويعكس تأثره النفسي في تصوير عاطفي حسي .

لوحة الجميل للمرأة في شعر الصعاليك:

تميز تصوير جمال المرأة في شعر الصعاليك عن نظيره في شعر القبيلة، حيث تجلت المرأة في شعرهم ليس فقط ككائن جسدي، بل ككائن إنساني حساس يشارك في صناعة الحياة إلى جانب الرجل. مثال على ذلك ما نجده في شعر الشنفرى، الذي قدم رؤية خاصة للجمال تربط بين العالم النفسي والأخلاقي للمرأة وبين العالم الداخلي للشاعر.

الشنفرى، كصعلوك لم ينتمِ إلى الطبقات الاجتماعية المرموقة، كان يفتقد الوسامة والمكانة الاجتماعية التي قد تمكنه من التمتع بحقوق أفراد المجتمع الآخرين. ولأن الشاعر كان شديد الوعي بواقعه الاجتماعي، نرى كيف تجاوز ذلك الواقع في لحظات التعبير عن مشاعره الإنسانية. في شعره، لم يتناول جمال المرأة بشكل حسي بحت كما فعل شعراء الغزل الآخرون، بل ركز على القيم المعنوية والأخلاقية، مفضلًا الابتعاد عن التركيز على الجمال الجسدي الذي كان يعكس شعورًا بالنقص الاجتماعي. ومع ذلك، لم يغفل الشاعر تمامًا التأثير الاجتماعي والطبقي في تصويره لجمال المرأة. ففي أبياته الغزلية التي تميزت بطابعها المعنوي، نجده يتناول الجمال الداخلي للمرأة بشكل غير تقليدي في الشعر الجاهلي: (الضبي، 1964، ص 108)

لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها إِذا ما مَشَت وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ

تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَها لِجارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ

تَحُلُّ بِمَنجاةٍ مِنَ اللَومِ بَيتَها إِذا ما بُيوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّتِ

كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً تَقُصُّهُ عَلى أُمِّها وَإِن تُكَلِّمكَ تَبلَتِ

أُمَيمَةُ لا يُخزى نَثاها حَليلَها إِذا ذُكِرَ النِسوانُ عَفَّت وَجَلَّتِ

إِذا هُوَ أَمسى آبَ قُرَّةَ عَينِهِ مَآبَ السَعيدِ لَم يَسَل أَينَ ظَلَّتِ

فَدَقَّت وَجَلَّت وَاِسبَكَرَّت وَأُكمِلَت فَلَو جُنَّ إِنسانٌ مِنَ الحُسنِ جُنَّتِ

فَبِتْنا كَأَنَّ البَيتَ حُجَّرَ فَوقَنا بِرَيحانَةٍ ريحَتْ عِشاءً وَطَلَّتِ
بِرَيحانَةٍ مِن بَطنِ حَليَةَ نَوَّرَت لَها أَرَجٌ ما حَولَها غَيرُ مُسنِتِ

أ- البناء الفكري للجميل في لوحة المرأة:

اتعتمد البنية الفكرية لجمال المرأة في شعر الصعاليك، وخاصة في هذه القصيدة، على استذكار الشاعر لفضائل زوجته أميمة بعد رحيلها دون وداع. يركز الشاعر على تداخل الجمال المادي والمعنوي الذي كان يميز زوجته. يبدأ القصيدة بذكر رحيل أميمة ويصف مشاعره تجاهها، موضحًا أنها غادرت دون أن تودعه أو تودع جيرانها الأعزاء. يترك الشاعر لنفسه مساحة للحزن على هذا الرحيل، معزياً نفسه بأن كل النعم مصيرها الزوال، وأميمة واحدة من هذه النعم.

ذا الحزن العميق الناجم عن رحيل أميمة أثار في نفس الشاعر مشاعر الغربة والوحدة، مما دفعه لاسترجاع ذكريات الجماليات المادية والمعنوية التي ميزت زوجته. هكذا، يصوغ الشاعر صورة مثالية لأميمة، تركز على الفضائل النفسية والأخلاقية التي يراها الجمال الحقيقي، بدلاً من الاكتفاء بالجمال الجسدي. فهو يرسم صورة إنسانية للمرأة تتجاوز الجانب المادي لتصل إلى نموذج الجمال الأسمى، الذي يطمح الشاعر إلى تعميمه كأنموذج للجمالية المعنوية.

1. الفعل الجميل:

يُظهر الشاعر جمال المرأة من خلال أفعالها وسلوكها الاجتماعي والأخلاقي. فالمرأة الجميلة في نظره ليست مجرد جسد، بل هي شخصية أخلاقية تتسم بالحياء والوفاء والتكافل الاجتماعي. إن جمال المرأة لا يتوقف عند ملامحها، بل يظهر في تصرفاتها التي تساهم في تعزيز مكانتها كأنثى نبيلة، عفيفة ووفية. ففي هذه اللوحة الشعرية، تظهر المرأة وقورة، لا تسقط قناع حيائها أثناء المشي، ولا تلفت النظر بتصرفات غير لائقة. تسير متواضعة، تغض بصرها، وتحافظ على سمعتها، وتهتم بجيرانها، مما يبرز كرمها ووفاءها. هذه الصفات تبرز كقوى دافعة للجمال الأخلاقي الذي يتكامل مع الجمال الحسي، مما يمنح المرأة في شعر الصعاليك مكانة مميزة تختلف عن التصوير التقليدي للمرأة في الشعر الجاهلي.

2. الشكل الجميل:

يرسم الشاعر صورة مختزلة لجمال المرأة من خلال التركيز على تفاصيل جسدها بدقة. فهو يشير إلى توازن جسدها بين النحافة والفخامة، حيث يكون الجسد متناسقًا، طويل القوام، وناعم التفاصيل، وكأنه مصنوع من الجمال الخالص. لكنه لا يقتصر على هذا التصوير، بل يشير إلى أن هذا الجمال الجسدي يقترن بجمال الأفعال الأخلاقية والروحانية. وبالتالي، فإن الجمال في شعر الصعاليك ليس مجرد مسألة جسدية، بل يتسع ليشمل الأفعال والسلوكيات التي تعبر عن شخصية المرأة.

يتضح من هذه الأوصاف أن جمال المرأة في شعر الصعاليك يتجاوز الجمال الحسي ليصل إلى الجمال الأخلاقي والنفسي. فالقيم الجمالية التي يقدمها الشاعر ترتبط بفكرة أن المرأة الجميلة ليست فقط تلك التي تتسم بجمال المظهر، بل تلك التي تجمع بين جمال الشكل وجمال الروح. إن العفة والحياء والكرم هي صفات محورية في بناء هذه الصورة الجمالية المتكاملة. وكما قال ابن قتيبة: "الجمال رياش، والحسن صورة، والملاحة روح"(ابن قتيبة، 2008، ص 23)، نجد أن الشاعر لم ينفصل عن الذوق العام للمجتمع في تقديمه لهذه الصورة

المثالية، بل كان جزءًا من توجه اجتماعي يرى في الجمال الأخلاقي قيمة عليا. كما أشار الأصمعي في وصفه لهذه الأبيات بأنها "أحسن ما قيل في خفر النساء وعفتهن" (الضبي، 1964، ص 109).

ب–البناء الجمالي للجميل في لوحة المرأة:

بنى الشاعر لوحته الجمالية من خلال استخدام ألفاظٍ توحي بالجميل في مختلف أبعاده: الحسي، النفسي، والمعنوي. عبّر عن جمال المرأة باختيار مفردات دقيقة ومنسجمة توحي بالجمال، سواء من ناحية شكلها الجسدي أو سلوكها الأخلاقي. وفيما يأتي تفصيل لكيفية بناء هذا الجمال:

1. الألفاظ الموحية بالجمال:

اعتمد الشنفرى على مجموعة من الألفاظ التي تستدعي الجمال وتدل على مقوماته، سواء من خلال دلالاتها المباشرة على الحسن أو ما تولّده السياقات الشعرية من دلالات أعمق. هذه الألفاظ تشمل الجمالين الحسي والمعنوي، حيث تبرز قيم المرأة الأخلاقية والسلوكية. وفي الجدول التالي، نستعرض بعض الألفاظ المستخدمة ودلالاتها الجمالية :

الألفاظ	دلالتها	مجال الجمال
أعجب	الحب والانجذاب لجمالها حسًّا وخلقًا	الجمال الحسي والمعنوي
قناع	رمز للحياء وعفة الأنثى	رقة الأنوثة
تلفت	عدم كثرة التلفت لتجنب الريبة	فعل يرتبط بالحياء والعفة
تهدي	العطاء والكرم	فعل جميل
منجاة	مكان مرتفع، يرمز إلى البعد عن اللوم	فعل جميل
تبلت	الكلام القليل والموزون	فعل جميل
عفت	الكف عن كل ما لا يحل	فعل جميل
دقت	دقة أعضاء الجسم، ترمز للرشاقة	الجمال الحسي
اسبكرت	استقامة واعتدال القامة	الجمال الحسي
جن	الانبهار بجمالها	الجمال الحسي
ريحانة	طيب الرائحة وزكاء العطر	الجمال الحسي
ريحت	انتشار الرائحة الزكية	الجمال الحسي

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

تشكل هذه الألفاظ بنية جمالية متماسكة في النص، حيث نظمت الإحساس بالجمال وأضفت على القصيدة نسيجًا يعبر عن تجليات الجمال المادي والمعنوي للمرأة. ألفاظ مثل "قناع"، "تلفت"، و"عفت" تعكس الجمال الأخلاقي والنفسي، في حين تشير ألفاظ مثل "دقت" و"اسبكرت" إلى الجمال الجسدي. تبرز هذه الألفاظ دلالات معيارية توحي بحسن السلوك والتوازن الداخلي والخارجي للمرأة.

تتميز لغة النص الشعري بقدرة الشاعر على استخدام المقارنة والتشبيه لخلق توازن جمالي بين الصفات النفسية والجسدية للمرأة. الربط بين الألفاظ والمعاني يعكس التماسك الداخلي للوصف الجمالي، حيث يدمج الشاعر بين البيئة الطبيعية والتشبيهات الأخلاقية لتجسيد الجمال الأخلاقي الذي يرتقي فوق الجمال الحسي.

على سبيل المثال، يقول الشاعر:

لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها إِذا ما مَشَتْ وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ

هنا، يوظف الشاعر "المشي" كرمز للعفة والحياء، حيث يبرز أن المرأة لا تسقط قناعها ولا تكثر من التلفت، وهما إشارتان تدلان على احترام الذات والوقار. تتضافر هذه الصياغة اللغوية مع السياق الشعري، لتخلق إحساسًا بالجمال الأخلاقي الذي يعزز الصورة الكاملة للمرأة، حيث تتلاقى الأخلاق مع الجمال الحسي في مشهد واحد.

اعتمد الشاعر على مفردات من بيئته الطبيعية، حيث جسّد القيم الجمالية من خلال استخدامه للمفردات المستمدة من الصحراء والحياة اليومية. المفردات مثل "ريحانة" و"دقت" تشير إلى الجمال الحسي، لكنها في الوقت نفسه تحمل رمزية تعكس نقاء المرأة وعفتها، مما يجعل من تصوير الجمال تجربة متكاملة تجمع بين الجسد والروح.

2. المظاهر الحسية والمعنوية:

لم يقتصر الشنفرى على تصوير الجمال الحسي للمرأة فحسب، بل رسم صورة متكاملة تجمع بين الحسي والمعنوي. استخدم الشاعر تقنيات التشخيص والتجسيم والتنظير ليحول الجمال المعنوي للمرأة إلى شيء محسوس ومرئي، مما أضفى على الصورة الشعرية حياة وحركة. دعونا نحلل هذه المظاهر كما ظهرت في الأبيات، ونستعرض كيفية توظيف الشاعر لتقنيات التشخيص والتجسيم والتنظير لتعزيز الإحساس بالجمال.

رقم البيت	المظاهر الحسية والمعنوية للجميل	مجال المظهر	نوع المظر	تمكينه الجمالي
1	لايسقط قناعها أثناء مشئها ولا تكثر من التلفت	وقار المرأة وحياؤها :شكل جميل	حسي	تنظير وقور المرأة وخجلها بالقناع
2	كريمة مع جارتها حسنة المعشر والمعاملة تؤثرهن على نفسها ولو كان بها خصاصة	كرم المرأة :فعل جميل	معنوي	تجسيم المعنوي(الكرم) بحسي (تهدي غبوقها)

3	لاتحوم عليها الشبهات ولاتتناولها الشبهات	الوفاء للزوج :فعل جميل	معنوي	تجسيم المعنوي (الوفاء) بحسي (منجاة من اللوم)
4	تسير في الطريق غاضة بصرها كأن لها في الأرض شيئا تبحث عنه والكلام يموت على شفتيها	شدة الحياء :فعل جميل	معنوي	تجسيم المعنوي (الحياء) بحسي (كأن لها في الأرض نسيا تقصه)
5	حريصة على سمعة بيتها وتصون كرامتها	العفة والحصانة: فعل جميل	معنوي	تجسيم المعنوي (العفة) بحسي (أميمة لايخزى نثاها)
6	إذا رجع إليها بعد رحلة أو غارة وقعت عيناه على ما يسعده ويسره	الإخلاص والاعتزاز بالعفة :فعل جميل	معنوي	تجسيم المعنوي (العفة والإخلاص) بحسي (لم يسأل أين ظلت)
7	استقامة قامتها واكتمال أعضائها	حسن القامة واكتمالها :شكل جميل	حسي	تنظير المعنوي(جمال الجسد) بحسي (دقت وجلت واسبكرت وأكملت)
	أخرجت من البشر امرأة ونسبت إلى الجن لشدة جمالها وحسنها	رفعة المكانة :فعل جميل	معنوي	تجسيم المعنوي (حسن جمالها) بحسي (لو جن إنسان من الحسن جنت)
8	ثمل من مجالسها كأن البيت شملته ريحانة	طيب الرائحة :فعل جميل	معنوي	تجسيم المعنوي(رفعة المكانة) بحسي (كأن البيت حجر فوقنا بريحانة)
9	انتشرت منها أطيب الريحة وتفرقها في كل جانب	وقار المرأة وحياؤها :شكل جميل	معنوي	تجسيم المعنوي(طيب الرائحة) بحسي (ريحانة من بطن حلية)

من خلال هذا التحليل، نجد أن الشاعر الشنفرى يميل إلى تجسيد الأفعال المعنوية للمرأة، موازنًا بينها وبين المظاهر الحسية. استحضار الشاعر لصفات مثل الكرم، العفة، الوفاء، والحياء، وتحويلها إلى أطر حسية ملموسة، أضفى على الصورة الشعرية تكاملًا بين الشكل والمضمون.

تجسيم الجمال المعنوي:

يعتمد الشنفرى على تحويل القيم المعنوية إلى مظاهر حسية عبر تقنيات التشخيص والتجسيم. فالمرأة في لوحته ليست كائنًا ساكنًا، بل هي كائن ينبض بالحيوية، مليء بالخصوبة والجمال الإنساني. يتضح هذا من خلال الأفعال التي تعبر عن الأخلاق والقيم، مثل الكرم والعفة والحياء، والتي جسدها الشاعر من خلال رموز حسية ملموسة تعزز من شعور القارئ بالجمال النفسي والأخلاقي.

التوازن بين الحسي والمعنوي:

الشاعر لا يقتصر على تقديم المرأة كجسد جميل، بل يصورها كمجموعة من القيم الأخلاقية التي تتداخل مع جمالها الحسي. مزج الشنفرى بين الجمال الظاهر للجسد والقيم الأعمق مثل الوفاء والعفة والكرم، ليقدم لوحة متكاملة تعكس تصورًا شاملاً للجمال. وهذا المزج بين الحسي والمعنوي يعكس نظرة الشاعر الشمولية للجمال، حيث يتجاوز الجمال الشكل الظاهري إلى القيم الأعمق التي تميز المرأة المثالية في نظر الصعاليك.

المرأة في لوحة الشنفرى هي تجسيد لقيم الصعاليك، حيث تشكل الأخلاق، الوفاء، العفة، والكرم العناصر الأساسية في رؤيتهم الجمالية للمرأة. هذا التوازن بين الجمال الحسي والمعنوي يجعل من المرأة في شعر الشنفرى نموذجًا مثاليًا يجمع بين جمال الشكل وجمال الروح، مما يعكس رؤيته الفريدة في تقديم صورة للمرأة تتجاوز الحدود المادية إلى آفاق أعمق.

3. جمالية الصورة والصدى:

ظف الشنفرى التصوير الفني كأداة رئيسية لبناء مظاهر الجمال الحسية والمعنوية في شعره، مما جعل الصورة الشعرية قلب عمله الفني، حيث تحولت إلى نبض جمالي ينبعث من خلال الكلمات. فالصورة الشعرية كما أشار الصائغ هي "نسخة جمالية تستحضر فيها لغة الإبداع الهيئة الحسية أو الشعورية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة"(الصائغ، د.ت، ص137).قدم الشاعر الأنموذج الأنثوي بأبعاد متكاملة: جسدية، نفسية، واجتماعية، متجاوزًا الوصف السطحي للجسد ليبرز الأخلاق والفضائل الرفيعة. وقد استغرق الشاعر وقتًا في وصف الفضائل الأخلاقية للمرأة، مكتفيًا ببيت واحد للإشارة إلى صفاتها الجسدية، مستخدمًا في ذلك أفعالًا سريعة متلاحقة تعكس طبيعة حياة الصعاليك المليئة بالمغامرات وعدم الاستقرار.

تشكلت صور الشنفرى من رموز تجسد جمال المرأة وتعكس ارتباطها بالطبيعة والحياة المشرقة. التصوير الفني هنا لم يكن جامدًا، بل تصويرًا حيًا نابضًا بالحركة والإيقاع، حيث يوحي باللون والصوت والنغمة التي تبرز صورة متكاملة(الخالدي، 1988،ص33). كما لعبت الموسيقى الشعرية دورًا هامًا في تعزيز الصورة الفنية، فالموسيقا "المقترنة بالقول الشعري تكسب النفس لذة وراحة، وتوقظ فيها تصورات وانفعالات"(أدونيس، 1985،ص19–20). اختار الشنفرى البحر الطويل، وهو إيقاع يناسب قوة الأداء ورصانته، ويعكس قدرة الشاعر على التحكم في انفعالاته وتأملاته. هذا البحر يتميز بملاءمته للانفعالات الهادئة المسيطر عليها، وهو مناسب للشعر الذي يمزج بين التأمل والهدوء(النويهي، د.ت،ص525).

إلى جانب الإيقاع الخارجي، اعتمد الشنفرى على "التجنيس الحرفي" كأداة إيقاعية داخلية، تعمل مثل القافية داخل البيت الشعري. ساهم تكرار الحروف في إضفاء تماثل صوتي يدعم البنية الشعرية. تكرار حرف "التاء" في القصيدة، على سبيل المثال، شكّل محورًا صوتيًا أساسيًا، حيث أضافت التكرارات المتتابعة لهذا الحرف بُعدًا نفسيًا عميقًا في قلب الشاعر، كما يتضح في قوله:

فَدَقَّت وَجَلَّت وَاِستَكَرَّت وَأُكمِلَت فَلَو جُنَّ إِنسانٌ مِنَ الحُسنِ جُنَّتِ

في هذا البيت، يتناغم الإيقاع الخارجي مع الإيقاع الداخلي المتولد من تكرار الحروف، مما يوحي بالجميل في الطبيعة والمرأة على حد سواء. دعونا نحلل تكرار الحروف ومعاني إيحاءاتها الصوتية في الجدول التالي(عباس، 1998).

الحرف	تكراره	إيحاءاته الصوتية
ت	39	حركة الطبيعة و المشاعر الإنسانية الرقيقة
ل	30	ظهور الذات ومشاعرها ، والالتصاق، والنسبة والتملك والتعريف
ن	19	المشاعر الإنسانية الدافئة، والحزينة، أصوات الحزن والألم، والاهتزاز والاضطراب
م	16	عالم الرغبة والحياة والجمال من جمع وضم ورضاع ومرونة ورقة
ه	14	أرق العواطف الإنسانية وأملكها للنفس
ب	14	البعثرة والتبديد بما يحاكي بعثرة النفَس بعد خروج صوته. و الحفر والشق والشدة. والاتساع والعلو، مادياً ومعنوياً.
ر	10	حركة الطبيعة و الحياة من ترجيع وتكرار
س	9	حركة الطبيعة و الحياة من تحرك ومسير وانزلاق وصفير
ق	9	القساوة والصلابة والشدة،وأصوات التفجر والتكسر
ج	9	الشدة والقوة والفخامة والعظم والامتلاء
ع	7	الذاتية والفعالية والظهور والقوة والصفاء والسمو
ف	5	الانتشار برقة ولطافة، وصوت النّفس لحظة خروجه

تضافرت هذه الحروف لتخلق صدى صوتيًا يوحد بين الجمال الحسي والنفسي في القصيدة، مما يمنحها عمقًا جماليًا ومؤثرًا. تناغم الأصوات يولد تأثيرًا إيقاعيًا يتجاوز المعاني السطحية للكلمات، ليعبر عن مشاعر الشاعر تجاه الجمال والمشاعر الإنسانية العميقة. فالألفاظ المختارة بعناية تُعبر عن الحركة والاهتزاز الداخلي للنفس، وتعكس الحيوية التي تميز شعر الشنفرى.

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

4. جماليات التجلي والإضمار في بناء الرمز الجميل:

اعتمد الشنفرى في تشكيل صوره الجمالية على استخدام البنية الرمزية والكناية، مما أضفى عمقًا على تعبيراته الفنية. فلم تقتصر تلك الصور على تعبيراته الفردية، بل امتدت لتشمل قيمًا إنسانية سامية جادت بها قريحته. استخدم الشاعر الرموز ليجسد أرقى الفضائل الإنسانية التي تجلت في سلوك المرأة، وصاغ منها رمزًا جماليًا مثاليًا يرفع من شأن المرأة في عينه إلى مستويات مثالية تتجاوز المألوف.

سعى الشنفرى إلى بناء جمال المرأة في صورته الكاملة من خلال الدمج بين الجمالين الأخلاقي والجسدي. رسم صورة مثالية للمرأة تتفوق على مظاهر الجمال الطبيعي، ووضعها في إطار رمزي يعكس أسمى درجات الجمال في الأخلاق والجسد. هذه الصورة الرمزية تضمر في داخلها رغبة الشاعر في بلوغ الكمال الجمالي، وفي الوقت نفسه تعكس رموز عالمه الداخلي وما يختلج في أعماقه. كما يشير عبد السلام بن عبد العال: "إن العالم البشري مليء بالدلالات، والظاهرة الشعورية دائمًا ما تكون مثقلة بشحنة من اللاشعور، مما يصل إلى أبعاد وقوانين لا شعورية"(عبد العال،1975،عدد(10).

في لحظات الانبهار بجمال المرأة، يستدعي الشنفرى قيمًا مثل الإخلاص، الوفاء، العفة، والكرم، ليعبّر عن تصوراته المثالية حول المرأة. ويشير يوسف خليف إلى أن شعراء الصعاليك، وخاصة الشنفرى، ركزوا في تشبيهاتهم على ربط المرأة بالطبيعة، حيث جمعوا بين صفاتها الأخلاقية وطيب رائحتها(خليف،،ص305)، هذا المزج بين الجمال الأخلاقي والحسي يعد أمرًا نادرًا في الشعر العربي القديم(الصبور،ص115).ويتجلى ذلك في الأبيات التالية:

فَبِتْنا كَأَنَّ البَيتَ حُجَّرَ فَوقَنا بِرَيحانَةٍ ريحَتْ عِشاءً وَطَلَّتِ
بِرَيحانَةٍ مِن بَطنِ حَليَةَ نَوَّرَت لَها أَرَجٌ ما حَولَها غَيرُ مُسنِتِ

في هذه الأبيات، أبدع الشنفرى في مزج الألفاظ وتوظيفها بدقة بالغة، مما جعله يتفوق على شعراء عصره ومن تبعهم في وصفه لجمال المرأة وعناصر الطبيعة. ويرى عبد الله الطيب أن الشنفرى قد تفوق حتى على أبي تمام في وصف الريحانة، حيث أضفى على هذا الوصف دقة وجمالية فائقة(المجذوب،1970،ج3 ،ص1119).

دور المرأة في بناء المجتمع الصعاليكي:

في مجتمع الصعاليك، لم تكن المرأة مجرد رمز للزينة أو المتعة الجمالية، بل لعبت دورًا فعّالًا في بناء المجتمع. من خلال هذه الصور الشعرية، استطاع الشاعر أن يعبر عن رغباته النفسية في خلق عالم يتسم بالاطمئنان والأمان، حيث كانت المرأة رمزًا لهذا العالم المثالي، الذي يجمع بين الجمال الأخلاقي والجسدي. هذه الرؤية الشاملة للجمال تعكس نظرة الشنفرى المتفردة للمرأة، حيث تتجاوز الجمال الجسدي إلى تجسيد القيم العليا التي تمثلها.

التناغم بين الشعور واللاشعور:

في هذه اللوحة الشعرية، تناغمت العناصر الشعورية واللاشعورية لتكشف عن أعماق نفس الشاعر. هذه اللوحة الجمالية لم تكن مجرد تجسيد لجمال خارجي، بل كانت بناءً جماليًا متكاملًا انبثق من نفس الشاعر وظروفه الاجتماعية والفنية. فالمرأة في شعر الشنفرى تمثل الرمز المثالي لجمال شامل يمتزج فيه الحسي بالمعنوي، ويعكس رؤية الشاعر العميقة للعالم ولذاته

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

نجح الشنفرى في تقديم نموذج شعري فريد من نوعه، حيث استطاع أن يجمع بين الرمز الجمالي والمحتوى الأخلاقي في إطار فني مبتكر. بفضل بصماته الإبداعية وتجربته الشخصية، أضاف الشاعر إلى تراث الشعر الصعاليكي طابعًا مميزًا يجمع بين الجمال الفني والشعور العميق. وتجلى اختلاف الشنفرى عن غيره من الشعراء في طريقة توظيفه للعناصر الرمزية والكنايات، مما جعل شعره متفردًا في التعبير عن الجمال بنظرة شمولية تتجاوز المألوف.

المبحث الثاني:- الجليل في شعر الصعاليك

الجليل هو مفهوم جمالي يرتبط بالأفعال والأفكار التي ترتفع بالإنسان عن التفاهة والدناءة، وتسمو بمشاعره وأفكاره. كما يُعرف بأنه القيمة التي تجمع بين القوة والهيبة، وهو يعبر عن الجانب المعنوي الذي يتصل بجمال الأفعال وسموها. ويوضح جورج سانتيانا أن "الأفكار والأفعال هي وحدها التي تتصف بالجلال أولاً، أما الأشياء المرئية فلا تصبح جليلة إلا عن طريق التمثيل والإيحاء"(سانتيانا، ص255).يظهر الجليل في الشعر من خلال أوصاف تُثير الشعور بالقوة والهيبة، وتبعث في المتلقي شعورًا بالرهبة والانبهار(برجاوي،1981،ص51).

تجسدت قيمة الجليل في شعر الصعاليك بشكل أساسي في مفهوم الرجولة. هذه الرجولة لم تكن مجرد قوة جسدية، بل كانت قيمة أخلاقية ونفسية تتجلى في أفعال الصعاليك. تميز شعرهم بالتغني بالشجاعة، الكرامة، الكرم، والتحدي، مما أضفى على مفهوم الرجولة طابعًا جماليًا يتجاوز المعايير القبلية التقليدية.

الرجولة في حياة الصعاليك لم تكن مجرد سلوك فردي، بل كانت قيمة جمالية قائمة بذاتها، تبرز في أفعال القوة والصمود والقدرة على مواجهة الظروف الصعبة. كان الصعلوك يعيش في بيئة قاسية تتطلب الشجاعة والقوة للتغلب على التحديات المعيشية والاجتماعية. ومن هنا، أصبحت الرجولة في شعرهم مظهرًا من مظاهر الجليل، حيث تجسدت في الفعل القوي والمؤثر الذي يثير الاحترام والرهبة.

لوحة الجليل للرجولة في شعر الصعاليك

كانت الرجولة في حياة الصعاليك ضرورة أساسية، وهي مقياس لوجودهم الكريم وسعيهم للحفاظ على كرامتهم ومكانتهم في مجتمع يعتمد على الغزو والإغارة .الرجولة عند الصعاليك تجاوزت المفهوم الجسدي إلى مفهوم أوسع يشمل القوة النفسية والشجاعة في مواجهة التحديات .تحدث الشعراء الصعاليك عن الرجولة بكثرة، مؤكدين على أهميتها في حياتهم الصعبة.

نجد مثالًا واضحًا في تصوير عروة بن الورد لرجولته، حيث يصف طول قامته وقوته الجسدية كعلامات مميزة لرجولته .يقول عروة في أحد أبياته:(أبوبكر، 1998،ص85)

وَما طالِبُ الأَوتارِ إِلّا اِبنُ حُرَّةٍ طَويلُ نَجادِ السَيفِ عاري الأَشاجِعِ

في هذا البيت، يعكس الشاعر قوة القامة وقوة اليدين كدلالة على الرجولة الجليلة. أما السليك بن السلكة، فيفتخر بأفعاله البطولية التي تتجاوز أفعال الأحرار، قائلاً:(ثويني و عواد،1984،ص61-62)

فَإِنّي يا اِبنَةَ الأَقوامِ أُربي عَلى فِعلِ الوَضيّ مِنَ الرِجالِ

فَلا تَصِلي بِصُعلوكٍ نَؤومٍ إِذا أَمسى يُعَدُّ مِنَ العيَالِ

وَلَكِن كُلُّ صُعلوكٍ ضَروبٍ بِنَصلِ السَيفِ هاماتِ الرِجالِ

في هذه الأبيات، يفتخر السليك بشجاعته وقدرته على التفوق في الفعل والبطولة، معتبرًا أن أفعاله تتفوق على أفعال الرجال الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية أعلى. لقد تجاوز الصعاليك من خلال هذه الأبيات المعايير القبلية التي كانت تحصر الرجولة في طبقة معينة من الرجال، مؤكدين أن الرجولة تتعلق بالفعل والبطولة وليس بالنسب. يقدم تأبط شرًا في إحدى قصائده نموذجًا مثاليًا للرجولة الصعلوكية:(المرزوقي،2003،ص70-74)

1- إِنّي لَمُهدٍ مِن ثَناءٍ فَقاصِدٌ بِهِ لِابنِ عَمّ الصِدقِ شَمسِ بنِ مالِك
2- أَهُزُّ بِهِ في نَدوَةِ الحَيّ عِطفَهُ كَما هَزَّ عِطفي بِالهِجانِ الأَوارِكِ
3- قَليلُ التَشَكّي لِلمُهِمّ يُصيبُهُ كَثيرُ الهَوى شَتّى النَوى وَالمَسالِكِ
4- يَظَلُّ بِمَوماةٍ وَيُمسي بِغَيرِها جَحيشاً وَيَعروري ظُهورَ المَهالِكِ
5- وَيَسبِقُ وَفدَ الريحِ مِن حَيثُ يَنتَحي بِمُنخَرِقٍ مِن شَدِّهِ المُتَدارِكِ
6- إِذا خاطَ عَينَيهِ كَرى النَومِ لَم يَزَل لَهُ كالِئٌ مِن قَلبِ شَيحانَ فاتِكِ
7- وَيَجعَلُ عَينَيهِ رَبيئَةَ قَلبِهِ إِلى سَلَّةٍ مِن حَدِّ أَخلَقَ باتِكِ
8- إِذا هَزَّهُ في عَظمِ قِرنٍ تَهَلَّلَت نَواجِذُ أَفواهِ المَنايا الضَواحِكِ
9- يَرى الوَحشَةَ الأُنسَ الأَنيسَ وَيَهتَدي بِحَيثُ اِهتَدَت أُمُّ النُجومِ الشَوابِكِ

في هذه الأبيات، يعبر تأبط شرًا عن الرجولة التي لا تعرف الخوف، حيث يتجلى في مواجهته للمخاطر بشجاعة وتحدٍ. هذا التصوير يعكس قوة معنوية فائقة وشجاعة لا تتزعزع، وهو ما يجعل الرجولة في شعر الصعاليك جمالية متكاملة تتسم بالقوة والإرادة.

الرجولة عند الصعاليك ليست مجرد قوة جسدية أو مكانة اجتماعية، بل هي فعل بطولي يتجسد في مواجهة المخاطر والوقوف بثبات أمام التحديات. لقد أعاد شعر الصعاليك تشكيل مفهوم الرجولة، بحيث أصبحت قيمة أخلاقية وجمالية ترتبط بالفعل والبطولة بغض النظر عن النسب أو اللون. شعرهم يظهر تحديًا واضحًا للمعايير القبلية التقليدية التي كانت تحصر الرجولة في طبقة معينة من المجتمع، مؤكدين أن الرجولة الحقيقية تكمن في القدرة على التحمل والصمود في وجه الظروف القاسية.

أ- البناء الفكري للجليل في رجولة الصعاليك:

تجلت رجولة الصعلوك في شعر تأبط شراً بشكل خاص من خلال تمرده على الانتماء القبلي وتفضيله للفعل الفردي على رفعة النسب، مما أضفى على هذه الرجولة جمالية واقعية متأصلة في بيئة الصعلكة. تأبط شراً يوضح أن الرجولة ليست في جمال الشكل أو الوسامة، بل في قوة الفعل والقدرة على مواجهة التحديات. انعكست هذه الفكرة على سمات الصعلوك التي تميزت بالقسوة، والشراسة، والجلد، وهي سمات اكتسبها من الحياة القاسية التي عاشها في بيئة تعج بالمعاصي والعنف. بناءً على ذلك، تأسست فكرة "الجليل" في شعره على مظاهر القوة والتفوق التي تتجسد في كل من الشكل والفعل.

1. **الشكل الجليل:**

في الشعر الجاهلي، وخاصة عند الصعاليك، يندر الحديث المباشر عن جمال الشكل كمظهر للرجولة. وعندما يتم ذكر الشكل، فإن الغاية ليست التعبير عن الجمال الخارجي، بل عن تأثير هذا الشكل في الأفعال. بالنسبة للشاعر الصعلوك، مثل تأبط شراً، فإنه يتجنب الحديث عن الجمال الشكلي، لأن مظهره الخارجي، مثل لون بشرته السوداء، كان يُعتبر في المجتمع العربي القديم رمزًا للقبح والتهميش الاجتماعي. كما يُقال: "كان يتعامل مع التعاسة وجهًا لوجه"(بدوي، 1998، ص26). بالتالي، ركز الصعاليك على تصوير رجولتهم من خلال أفعالهم التي تعكس قوتهم وشجاعتهم، وهي أفعال تتطلب هيئة جسدية قوية، حتى وإن لم تُذكر مباشرة.

2. **الفعل الجليل:**

"الفعل الجليل" هو المجال الحقيقي الذي تجلت فيه رجولة الصعلوك عند تأبط شراً، وقد ركز الشاعر على تجسيد هذه الفكرة من خلال الأفعال البطولية والجليلة التي تميز الصعلوك. تمثلت هذه الأفعال فيما يلي:

الشجاعة: الشجاعة هي العمود الفقري لصورة الرجل الصعلوك، وقد تجلت في مشاهد البسالة والإقدام في مواجهة المخاطر. الثبات في المواقف الحرجة والإقبال على الموت دون تردد كانا من أبرز ملامح الشجاعة التي جعلت أفعال الصعلوك متميزة بجرأتها وتفوقها. الشجاعة عند الصعاليك لم تكن مجرد مواجهة للعدو، بل كانت تمردًا على كل ما يُقيد حرية الإنسان وكرامته.

القوة: الصعلوك يتمتع بمهارات قتالية بارعة وقدرته على التغلب على قسوة الطبيعة والبيئة المحيطة. قوته لم تقتصر على الجسد فقط، بل امتدت لتشمل القوة النفسية وقدرته على التحمل. كان الصعلوك مثالاً للقوة الجسدية والنفسية التي تؤهله للنجاة والتفوق في مجتمعه، مما عزز مكانته كرمز للجلد والقوة في عالم الصعاليك.

الفطنة: لم تقتصر أفعال الصعلوك على الشجاعة والقوة، بل امتزجت بالفطنة والذكاء. الرجل الصعلوك كان نافذ البصيرة، حذرًا، متيقظًا، وذا رؤية ثاقبة في التعامل مع المواقف الصعبة. كان يعرف كيف يدبر أموره بذكاء وحكمة، ويواجه المخاطر بحذر يجمع بين العقل والشجاعة.

الروح الإنسانية: على الرغم من النبذ الاجتماعي الذي تعرض له الصعلوك بسبب نسبه أو سلوكه، إلا أنه كان يتمتع بروح إنسانية تجلت في كرمه وإيثاره. فالصعلوك، رغم معاناته المعيشية، كان يجود بما يملك، متحديًا المعايير الاجتماعية التي كانت تقيم الناس على أساس النسب واللون. كان يساهم في مساعدة الآخرين، متساويًا في ذلك مع الأحرار الذين كانوا يُعتبرون من الطبقات العليا.

ب–البناء الجمالي للجليل في رجولة الصعاليك:

يتجسد البناء الجمالي لفكرة "الجليل" في رجولة الصعاليك عبر أساليب تعبيرية وتشكيلات فنية استوحت من الحياة الصعبة التي عاشها الشاعر وتأثره ببيئته القاسية. ينبع هذا الجمال من إدراك الشاعر لواقع عالمه وتشكيل صور فنية تعبر عن مظاهر القوة والعظمة. تتجلى هذه الجمالية من خلال الألفاظ والصور التي تعكس العمق الجمالي لفكرة "الجليل" سواء على الصعيد الحسي أو المعنوي، مما يدل على القوة والشموخ والرفعة في أشعارهم.

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

1. **الألفاظ الموحية بالجليل:**

يشكل المعجم اللغوي في النصوص الشعرية عالمًا خاصًا يعبر عن مكونات الجلال والرجولة(لوتمان،ص126).في شعر الصعاليك، وخصوصًا عند تأبط شرًا، نجد ألفاظًا تعكس القوة والهيبة. هذه الألفاظ لا تجسد فقط مشاعر الشاعر، بل تصوّر الانفعالات الجمالية المرتبطة بفكرة الجلال والرجولة. فهي تتسم بتصاعد الفعل وضخامة الأثر، لتبلغ جمالية الشعر ذروتها. الكلمات التي اختارها الشاعر تعكس ضخامة الحدث وقوة الأداء، مما يعزز من الصورة الجليلة التي يقدمها.

أمثلة عن الألفاظ الموحية ودلالاتها الجمالية:

الألفاظ الموحية بالجليل	دلالتها	مجالها	معيارها الجمالي
هز	نشوة وطرب بالكرم	روح انسانية: فعل جليل	يعبر عن التأثر بفعل الكرم وقوة الإيثار
الهجان	كرم و إيثار	روح إنسانية: فعل جليل	يعبر عن السخاء في أبهى صوره
جحيش	مواجهة المخاطر بإرادة صلبة	شجاعة وقوة: فعل جليل	يعبر عن ثبات الإرادة
يعروري	مواجهة المخاطر بقوة وعزيمة	شجاعة: فعل جليل	يعبر عن استمرار المهارة في مواجهة المخاطر
يسبق	إرادة التغلب، وشدة السرعة	قوة: فعل جليل	يعبر عن التفوق في السبق والاستمرارية
منخرق	شدة السرعة	قوة: فعل جليل	يعبر عن استمرار شدة السرعة
متدارك	شدة التلاحق في السرعة	قوة: فعل جليل	يعبر عن التلاحق المستمر في الفعل
وفد	شدة السرعة	قوة: فعل جليل	يمثل المثل الأعلى للسرعة
الريح	إرادة التغل وشدة السرعة	قوة: فعل جليل	دلالة المثل الأعلى للسرعة(الريح) علىشدتها
كالئ	حذر، فطنة	فطنة وقوة: فعل جليل	يعبر عن الاستمرارية في الحذر والذكاء

شيحان	حزم	قوة: فعل جليل	يعبر عن كثرة الحزم والعزيمة
فاتك	إقدام، جرأة	قوة: فعل جليل	يعبر عن الاستمرارية في الجرأة
سلة	مهارة القتال	قوة: فعل جليل	يعبر عن عظمة المهارة في القتال
أخلق	قوة السيف	متانة السيف وملاسته: شكل جليل	يعبر عن شدة متانة السيف
باتك	شدة السيف	قوة: فعل جليل	يعبر عن استمرار قوة السيف
تهللت	فتك، مهارة، إقدام	شجاعة وقوة: فعل جليل	يعبر عن الإقدام والقدرة على إنجاز الفعل
نواجذ	بسالة، إقبال على الموت من دون تردد	شجاعة: فعل جليل	يعبر عن التأثر بفعل الكرم وقوة الإيثار

يتضح من الجدول أن الشاعر استخدم ألفاظًا قوية تفيض بالدلالة الجليلة وتعبر عن الفعل البطولي والشخصية الصلبة .فهذه الألفاظ لا تصف مجرد أشكال أو حركات، بل تعكس القيم التي يتبناها الصعاليك ويعتبرونها مصدرًا للفخر .فكل كلمة تختزل قوة ومعنى يمتدان إلى عمق الحياة التي عاشها هؤلاء الشعراء.

تظهر هذه الألفاظ الجليل في إطار أفعال الصعاليك البطولية التي تتسم بالقوة والشجاعة والتحدي .فهي تعبر عن رؤيتهم للعالم من حولهم، حيث كانت الرجولة والقوة محورية للحفاظ على الكرامة والبقاء .الألفاظ مثل "فاتك"، "جحيش"، و"يعروري "تعبر عن صلابة الشخصية التي لا تنكسر أمام الصعاب، وتجسد الروح الصلبة التي تعتلي المخاطر بتحدٍ وثبات.

2. المظهر الحسي والمعنوي للجليل:

استخدم تأبط شراً الألفاظ الموحية بالجلال لتجسيد مجموعة من الصور الفنية التي تعكس مظاهر الجلال في أفعاله وصفاته. وبرزت تلك الصور في مزج دقيق بين الحسي والمعنوي، مما يعزز الإحساس الجمالي بجلال الرجولة في بيئة الصعاليك. يظهر الجلال هنا في القوة والعظمة، سواء في تصرفات الصعلوك أو في سماته النفسية والجسدية. الجدول التالي يوضح المظاهر الحسية والمعنوية للجلال في نصوص تأبط شراً، ويوضح كذلك الأساليب الفنية التي مكنت من إبراز جمالية الجلال:

رقم البيت	المظاهر المعنوية والحسية للجليل	مجال المظهر	نوع المظهر	التمكين الجمالي للمظهر

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

1	إهداء الشاعر مدحه لابن عمه موضع الفضل والصلاح	روح إنسانية: فعل جليل	معنوي	تجسيم المعنوي(المدح) بحسي الإهداء تجسيم المعنوي(الصلاح والفضل) بحسي أخوة الصدق
2	إعطائه الإبل البيض الكرام	روح إنسانية: فعل جليل	معنوي	تجسيم المعنوي(الكرم) بحسي بصري (عطاء الإبل)
3	قليل الجزع قوي الإرادة في مواجهة المصائب	شجاعة، قوة: فعل جليل	معنوي	تجسيم المعنوي(الشجاعة والإرادة) بمظهر حسي (كثرة مسالكه)
4	كثرة سلوك المفاوز وسرعة قطعه إياه	شجاعة، قوة: فعل جليل	معنوي	تجسيم المعنوي بمظهر حسي(دخول المهالك بانفراده)
5	إذا عدا حتى انه يسبق الريح	شجاعة، قوة: فعل جليل	حسي	تنظير سرعته بمثل أعلى للسرعة(وفد الريح) تجسيم المعنوي(الإرادة) بحسي مسابقة الريح
6	حذر في النوم إذا نام عيناه ويقظ قلبه	شجاعة، فطنة، قوة: شكل جليل وفعل جليل	معنوي	تجسيم المعنى(الحذر والفطنة) بمظهر حسي يقظته في نومه
7	حذره النوم وتمرسه في القتال وإقدامه وشدة سيفه	فطنة، وشجاعة، وقوة: فعل جليل وشكل جليل	معنوي	تجسيم المعنى(إقدامه) بمظهر حسي بصري سرعة سله السيف تشخيص المعنوي(الحذر) بمظهر حسي(الإنسان الرقيب)
8	مهابة ملاقاته التي تجعل نواجذ أفواه المنايا تتهلل	شجاعة، قوة: فعل جليل	معنوي	تشخيص(القوة والشجاعة) بمظهر حسي تهلل الموت وضحكه
9	رؤيته الوحشة أنيسا واهتداؤه بأم النجوم	شجاعة، قوة: فعل جليل	معنوي	تشخيص(الوحشة بمظهر حسي الأنس تنظير (الإرادة) بمثل أعلى لاهتداء المجرة

ممن خلال الجدول أعلاه، نجد أن تأبط شراً ركز بشكل كبير على تصوير الجلال في الرجولة وفق مبادئ الصعلكة التي تعلي من قيمة الفعل الفردي والقوة الشخصية. وقد نجح في تجسيم الفعل الجليل في النصوص بتسعة مظاهر جليلة، في مقابل مظهرين فقط للشكل الحسي، مما يعكس فلسفة الصعاليك التي تقوم على تمجيد الفعل على المظهر الخارجي.

مظاهر القوة والشجاعة:

الشاعر أولى اهتمامًا خاصًا للشجاعة، حيث ذكرها في ستة مظاهر، وللقوة الشخصية التي تجلت في سبعة مظاهر، كما أبرز الحكمة والروح الإنسانية في مظهرين لكل منهما. هذه الصور الفنية ليست مجرد وصفٍ لمشاعر فردية، بل تعبر عن قيم جمالية سامية تجسدت في أفعال الصعاليك، وخاصة في بيئة حياتهم القاسية التي تتطلب الجرأة والإقدام.

الإحساس بالجلال:

الإحساس بالجلال في شعر تأبط شراً ينبع من مزيج من الأفعال الجليلة والصور الحسية التي تصاحبها. وقد تم التعبير عن هذه الأفعال من خلال تجسيم المعنوي بمظاهر حسيّة ملموسة، مما يعطي لهذه الأفعال قوة حضورٍ محسوسة تزيد من تأثيرها الجمالي.

3. جماليات الصورة والصدى: (جمالية الانعتاق والبناء " صورة الرجل الريح")

تتجلى الصورة الشعرية في شعر الصعاليك، لا سيما عند تأبط شرًا، كوسيلة جمالية مركزية لتجسيد مفهوم "الجليل"، حيث يعبر عن القوة والهيبة عبر صور تستمد تفاصيلها من البيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة بالصعلوك. هذه الصور ترسم ملامح الرجولة الحقيقية، حيث تنعكس عليها قسوة الطبيعة، ووعورة الصحراء، وتحديات الحياة.

(1) الصور الجزئية وتجسيد الجليل

اعتمد تأبط شرًا في تصوير "الجليل "على الكناية، حيث استخدمها لتجسيد مظاهر القوة والفضيلة بشكل غير مباشر، مما يعمق دلالاتها .على سبيل المثال، كنّى عن فضائل ابن عمه "بالأخو الصدوق"، مما يضفي على الأخوة والمصداقية بعدًا معنويًا وجمالًا ،خاصًا .كما عبّر عن قوة الإرادة والصبر بقوله" :كثير الهوى شتى النوى والمسالك"، مما يربط بين تعدد المسالك والقوة النفسية ،ويمنحها بُعدًا ماديًا يثير المخيلة .وفي تجسيمه لفكرة السرعة، استخدم الريح كرمز يتفوق فيه الصعلوك على أسرع الظواهر الطبيعية مجسدًا هذه القوة الكامنة فيه.

(2) التشبيه والاستعارة

تميّز تأبط شرًا في استخدام التشبيه والاستعارة لبناء نظائر جمالية من بيئته الصحراوية. فعلى سبيل المثال، شبّه العين بالرقيب، مما يبرز الفطنة والحذر، كما شبه الوحشة بالأُنس، ليعطي للوحدة بعدًا إنسانيًا يعكس ألفته بها. وفي استعاراته المكنية، شبه الثناء بهدية تُهدى للعروس، مما يعكس قيمة المدح والكرامة في المجتمع. كذلك، شبه المسالك المهلكة بحيوان يمتطى، في تجسيد لقدرة الصعلوك على مواجهة الصعاب وكأنها شيء مألوف لديه.

(3) التشخيص والتجسيم

وظف الشاعر التشخيص والتجسيم ليحول المفاهيم المعنوية إلى صور ملموسة وحسية، ما يعزز جمالية النص ويقرب المعاني للقارئ. فقد جسّم الحذر والفطنة في صورة العين التي ترقب القلب، مما يعكس اليقظة الدائمة للصعلوك. وفي مشهد آخر، جعل من الموت إنسانًا يضحك، في صورة تجسد شجاعة الصعلوك واستهانته بالموت، مما يعزز من هيبته ويبرز قوته الروحية. هذه الأدوات مكّنت تأبط شرًا من بناء مشهد شعري حيوي، حيث تمثل الطبيعة والصحراء والموت رموزًا لجلال الحياة الصعلوكية.

(4) صورة "الرجل الريح"

تعد "صورة الرجل الريح" واحدة من أكثر الصور تميزًا في شعر تأبط شرًا، حيث يعبر الصعلوك عن تحرره من قيود المجتمع وتعلقه بالحركة المستمرة، مما يجعله كائنًا لا يعرف السكون. هذه الصورة تحمل رمزًا للحرية والانعتاق، حيث يجسد الصعلوك حياة التشرد والتجوال بين الصحاري والمفازات، باحثًا عن كرامته وحقه المفقود. غير أن هذه الحرية تأتي مغموسة بإحساس عميق بالاغتراب والضياع، إذ لا يجد الصعلوك انتماءً إلا في حركته الدائمة، مما يخلق نوعًا من الانفصال الوجودي بينه وبين عالمه.

في تشكيل صورة "الرجل الريح"، يوظف تأبط شرًا رمز الريح ليعبر عن حالة الصعلوك الذي لا يعرف السكون، ويتحرك بلا توقف بحثًا عن معنى وجوده، هاربًا من قيود المجتمع ومنغمسًا في عالم مليء بالموت والمخاطر. هذه الحركة المستمرة ليست مجرد تعبير عن تمرده، بل هي سعيه الحثيث نحو تحقيق الحرية والانعتاق من الواقع القاسي الذي فرضته عليه الصعلكة.

من أبرز ما يميز تأبط شرًا قدرته على إضفاء الحياة على الأشياء الجامدة في عالمه الشعري. فالريح والموت والجمادات في قصائده تنبض بالحياة، فتتحول الوحشة إلى أنيس، والنجوم إلى دليل للضالين، والموت إلى كائن يضحك ويتهلل. هذه القدرة على تشخيص الجماد تنقل المتلقي إلى عالم حي يزخر بالإيحاءات، ويجعل من الفعل الشعري وسيلة لتفعيل الطبيعة والوجود الإنساني، ليخلق إحساسًا قويًا بالجلال.

إلى جانب الصور المرئية التي رسمها تأبط شرًا، استخدم الإيقاع الصوتي كأداة تعبيرية لتعميق معاني الجلال في قصيدته. وكما أشار محمد مفتاح، فإن "الأصوات في النص الشعري تحمل قيمة تعبيرية مستمدة من خصائصها الطبيعية وتداعياتها المشابهة"(مفتاح، 1986، ص 35). وقد وظف تأبط شرًا هذه القيمة التعبيرية للأصوات لخلق إيقاع صوتي يعكس عظمة "الجليل" ومظاهر القوة في النص. تتشكل هذه الجمالية الصوتية من خلال تكرار مجموعة من الحروف التي تحمل دلالات صوتية خاصة، تعبر عن الحركة الدائمة، والقوة، والصلابة.

جدول التالي يعرض تكرار الحروف وإيحاءاتها الصوتية:(عباس، 1998)

الصوت	تكراره	إيحاءاته
الهاء	22	الإنفعال، البؤس، الحزن، الضياع
الكاف	15	الاحتكاك والصراع الداخلي
الراء	14	التحرك، والتكرار، والترجيع

الحاء	10	الإنفعال، وأصوات الخفيف، أو تلهب النار، أو مرور الريح في الشجر
القاف	10	القساوة والصلابة والشدة، وإيحاءات صوتية من فقاعة تنفجر، أو فخارة تتكسر
الشين	9	البعثرة والانتشار والاضطراب بما يحاكي بعثرة النفس عند خروج صوته
السين	7	التحرك والمسير، والانزلاق، والصفير
العين	7	الفعالية والظهور
الزاي	7	الاضطراب والتحرك والاهتزاز، والبعثرة الانزلاق
الفاء	6	التشتت والبعثرة والانتشار؛ بما يحاكي بعثرة النفس لحظة خروج صوت الفاء واهياً
الجيم	5	الشدة والقوة والفخامة والعظم والامتلاء
الذال	4	الاهتزاز والاضطراب النفسي
الصاد	4	صلابة وشدة، وطبيعة صفيرية تحاكي أصوات الناس والحيوانات الطبيعة
الثاء	4	أصوت التأتأة
الظاء	3	القساوة والخشونة الصدى الصوتي المفخم

من خلال تكرار هذه الأصوات، يخلق الشاعر صورة صوتية تمثل حركة الرياح المتسارعة والمبعثرة، التي تعكس حالة الصعلوك في اضطرابه وغربته الدائمة. هذه الأصوات الحادة، مثل "الشين" و"السين"، ترمز إلى الحراك والانزلاق المستمر، وهي تشكل جوقة موسيقية تنقل "عزيف الرياح"، في حين تكرار "القاف" و"الظاء" يرمز إلى الصلابة والقوة التي تتسم بها شخصية الصعلوك.

هذه الموسيقى الصوتية ليست مجرد إيقاع خارجي، بل تعبير عن الجوهر النفسي للشاعر، حيث تتحول الأصوات إلى انعكاس لمشاعره وأفكاره، وتعبر عن عمق الصراع الداخلي الذي يعيشه. كما أن الأصوات المفخمة مثل "القاف" و"الظاء" تضفي على النص إحساسًا بالقوة والجلال، مما يزيد من عمق صورة "الرجل الريح" ويمنحها أبعادًا نفسية وجمالية إضافية.

في النهاية، شكلت هذه الأصوات المتناغمة خلفية موسيقية تعزز من عمق الصورة الشعرية، حيث تصبح الريح رمزًا للانعتاق والحركة المستمرة، وتصبح الأصوات أداة تعبير عن الاضطراب الداخلي والغربة التي يعيشها الصعلوك.

4. جماليات التجلي والإضمار في بناء الرمز الجليل:

تتجلى جماليات الرمز الجليل من خلال تقنيات فنية متعددة تدمج بين التجلي والإضمار، حيث تعتمد هذه الجماليات على استحضار القوة والهيبة عبر صور رمزية تحمل أبعادًا معنوية وحسية. هذه التقنيات تُبرز مظاهر الجليل في شعره من خلال أفعال الشجاعة، القوة، والفطنة، مما يعكس عمق التجربة الإنسانية للصعلوك في مواجهة قسوة الحياة وظروفها.

(1) **التجلي في الرمز الجليل:** يرتكز التجلي في الرمز الجليل على استخدام الشاعر لتعبيرات واضحة تستحضر قوة الرجولة ومظاهر العظمة. تأبط شرًا يظهر الجليل في أفعاله البطولية من خلال صور واضحة وقوية تعبر عن الشجاعة والمواجهة. مثلًا، عندما

يصف الصعلوك أنه "يسبق وفد الريح" أو أن "نواجذ الموت تتهلل"، فإنه يجسد قوة الصعلوك وقدرته على تحدي الموت والمخاطر دون خوف. هذا التجلي يعبر عن الرجولة الجليلة التي تتسم بالقوة والصلابة، ويجعل المتلقي يلمس هذه العظمة في الأفعال.

(2) **الإضمار في الرمز الجليل:** بينما يعتمد التجلي على الوضوح، يبرز الإضمار في شعر تأبط شرًا من خلال إشارات غير مباشرة تستدعي القارئ للتأمل في المعاني الأعمق وراء الصور. فالرمز الجليل في شعره لا يُعطى دائمًا بشكل مباشر، بل يتم إخفاؤه خلف صور واستعارات تستدعي التأمل. على سبيل المثال، عندما يشبه "الوحشة بالأنيس" أو "الموت بالضحك"، فإنه لا يصف الموت بشكل حرفي، بل يضمر إحساسًا بالقوة في مواجهة الفناء، وكأن الصعلوك يستهزئ بالموت ويواجهه بروح تتحدى الرهبة والخوف. هنا، الإضمار يعطي النص بعدًا فلسفيًا أعمق، حيث يتم استحضار الجلال من خلال المعاني المخفية وراء الكلمات.

(3) **الكناية والتشخيص:** أحد أهم أساليب الإضمار في شعر تأبط شرًا هو الكناية، حيث يوظفها للتعبير عن الجليل دون التصريح المباشر. عندما يكني عن الفطنة والحذر بقوله "يجعل عيناه ربيئة قلبه"، فإنه لا يصف حالة اليقظة فحسب، بل يشخص الحذر كحارس دائم للصعلوك. هذه الكناية تجعل القارئ يستشعر الجلال في الأفعال التي تُظهر الحكمة والبصيرة، دون الحاجة إلى الإفصاح المباشر عن هذه الصفات.

(4) **الاستعارة وبناء المعاني المتعددة:** الاستعارة هي أداة أساسية لبناء الرمز الجليل في شعر تأبط شرًا. فهو يستخدم الاستعارات لتجسيد مفاهيم معقدة مثل الشجاعة والقوة. عندما يستعير الريح كرمز لحركته وسرعته، فإنه يجعل الصعلوك رمزًا للحرية والانعتاق. الريح هنا ليست مجرد رمز للسرعة، بل تعبير عن الروح المتحررة التي لا تعرف الحدود. هذه الاستعارة تُضمر إحساسًا بالجلال لأنها تجعل الصعلوك يتماهى مع عنصر طبيعي قوي ولا يُقهر.

(5) **الإيقاع الصوتي وتجسيد الجليل:** من جماليات الإضمار التي استخدمها تأبط شرًا هي تجسيد الجلال من خلال الإيقاع الصوتي. تكرار الحروف ذات الإيحاءات القوية، مثل "القاف" و"الظاء"، يعزز من إحساس المتلقي بالقوة والصلابة. هذه الحروف تُضمر خلفها إحساسًا بالحزم والشدة، وتعمل على تعزيز جمالية الجليل في النص دون الحاجة إلى وصف مباشر. الإيقاع الصوتي يصبح رمزًا مخفيًا يعبر عن عظمة الصعلوك من خلال تأثيراته الصوتية.

(6) **التناقض والتضاد:** يستخدم تأبط شرًا التناقض بين الضعف والقوة، والخوف والشجاعة، لتعزيز إحساس الجليل. في تصويره للموت ككائن يضحك، يبرز التضاد بين الفعل المتوقع (الخوف من الموت) والفعل الذي يصفه (الضحك في وجه الموت). هذا التناقض يولد شعورًا بالجلال المتفوق على الرهبة، حيث يتحول الموت من عدو مخيف إلى تحدٍّ يتجاوزه الصعلوك بجرأة.

قد نجح تأبط شرًا في تقديم نموذج "الجليل" بامتياز، من خلال إبداعه في توظيف العناصر الرمزية والكنايات التي جسدت القوة والشجاعة والصلابة في مواجهة قسوة الحياة. تألق الشاعر في تصوير الرجولة الصعلوكية عبر دمج المعاني الحسية والمعنوية في إطار جمالي متكامل، حيث تمثلت جمالية "الجليل" في أفعال الصعلوك البطولية، وشجاعته التي تتجاوز حدود الشكل الخارجي لتصل إلى أعمق معاني الفعل والإرادة.

المبحث الثالث:–البطولة في شعر الصعاليك

البطولة هي قيمة اجتماعية أصيلة رافقت الإنسانية عبر تطورها التاريخي، وظلت دائمًا في مقدمة القيم التي تحتفي بها المجتمعات، إذ تحمل البطولة دلالة سامية تتجاوز الفرد لتصبح رمزًا يلتف حوله الجميع. كانت المجتمعات المختلفة تضع البطولة في أعلى مراتبها، فهي قيمة خالدة ترتبط بالكبرياء والعزة، وتلهم الأجيال القادمة في أوقات المحن والشدائد. فالبطل ليس فقط المدافع عن مجتمعه، بل هو رمز الأمان والقدوة، الذي يمد أفراد مجتمعه بالقوة ويمنحهم الثقة في مواجهة الصعاب.

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد الثالث والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2024م
www.ajsp.net

في المجتمع الجاهلي، كانت البطولة تُعد من القيم العظمى التي تعزز السيادة والشرف. وقد جسّد الشعراء الجاهليون، ولا سيما الصعاليك منهم، هذه القيمة من خلال قصائدهم التي أصبحت سجلًا حيًا لبطولاتهم ومآثرهم. ومن الطبيعي أن يكون الصعاليك، بحياتهم المليئة بالصراعات والتحديات، الأكثر تجسيدًا لهذه القيمة، فهم أبطال واقعهم الصعب. وكما يقول عبد الحليم في دراسته عن شعراء الصعاليك: "إن طبيعة حياتهم التي تعتمد على الصراع لا يمكن أن تناسب إلا الرجال الشجعان" (عبد الحليم، 1987، ص 264). ا جاءت قصائدهم معبرة عن تجاربهم الحية، فكان البطل في شعرهم ليس فقط محاربًا قويًا، بل نموذجًا للأخلاق والقيم التي يسعى المجتمع الجاهلي إلى الحفاظ عليها. فهم يرون في البطولة صفات خالدة تتجلى في المواقف البطولية، فهي "صفات خالدة أروع ما فيها تبقى بعد زوال أصحابها، وتدوم حين تفنى الأجساد"(برجاوي، 1981، ص 278–279).

في اللغة العربية، يعكس مفهوم "البطل" القدرة على تجاوز الجراحات والصمود في وجه التحديات، كما يرتبط بقدرة الفرد على التغلب على الخصوم وتحقيق الانتصارات حتى في أصعب الظروف (لسان العرب، مادة "بطل"). وكان المجتمع الجاهلي أحيانًا يربط البطولة بالقدرات الخارقة أو السحر، ما يعزز من القيمة الأسطورية للبطل(ابن منظور، مادة بطل).

عند تأبط شرًا، نلاحظ أن البطولة ليست مجرد فعل شجاع، بل هي التزام بالثأر والمواجهة المستمرة. فالشاعر يصور الصعلوك على أنه لا ينام مطمئنًا إلا بعد أخذ الثأر أو مواجهة خصومه، كما يظهر في قوله:(شاكر، 1984، ص 113–114)

قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ أَكْبَرُ هَمِّهِ دمُ الثَّأر أو يَلقى كميّاً مسفَّعا

يُمَاصِعُهُ كُلٌّ يُشَجِّعُ قَوْمُهُ وَمَا ضَرْبُهُ هَام العِدَا لِيُشَجَّعَا

أما جحدر بن ضبيعة، فيصور شجاعته بموقفه الذي يظهر تفضيله الموت بشرف على الهروب، حيث يبرز ثباته في المعارك بقوله:(التبريزي، 2000، ج1، ص 362)

رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَمَّتِ إِنْ لَمْ يُنَاجِزْهَا فَجُزُّوا لِّمَتِي

قَدْ عَمِلَتْ وَالِدَةٌ مَا ضَمَّتِ مَا لَفَّفَتْ فِي خِرَقٍ وَشَمَّتِ

وفي أشعار عروة بن الورد، نجد تصويرًا لاستعداده الدائم للقتال وخوض المعارك، إذ يقول:(أبو بكر، 1998، ص 81)

إذا قيل يا ابنَ الوردِ أقدِم إلى الوغى أجبت، فلاقاني كميٌّ مُقارِع

أما الشنفرى، فيجسد البطولة من خلال دمجها بالقيم الأخلاقية كالكرم والوفاء تجاه أصدقائه ومجتمعه الصعلوكي. فهو لا يرى البطولة في القوة وحدها، بل في إعلاء قيم الشجاعة والكرم والتفاني:(الشنفرى، 1996، ص 56)

هُمُ الأهْلُ لا مُستَودَعُ السِرِّ ذَائعٌ لدَيْهم ولا الجَانِى بما جَرَّ يُخْذَلُ

و كُلٌّ أبِيٌّ بَاسِلٌ غير أنَّنى إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أبْسَلُ

وإن مُدَّتِ الأَيْدِى إلى الزَّادِ لم أكُنْ بأعجَلهم إذْ أجْشَعُ القَوْم أعجَلُ

وما ذاك إلاَّ بَسْطةٌ عن تفَضُّلٍ عليهم وكان الأفْضَلَ المُتَفَضَّلُ

من خلال هذه النصوص، يظهر أن شعراء الصعاليك لم يقتصروا على تصوير البطل كمحارب شجاع، بل ركزوا على تجسيد البطل الذي يتمتع بالفضائل الأخلاقية والإنسانية. كانت البطولة في نظرهم لا تنحصر في القتال فقط، بل تشمل الكرم والشجاعة والتضحية لأجل الآخرين.

لوحة البطولة في شعر الصعاليك:

من بين الشعراء الصعاليك، يعد الشنفرى من أبرز من قدموا صورة البطولة بشكل متكامل، إذ استطاع أن يجسدها من خلال عناصر القوة، المهارة، الانتصار، المسؤولية، والتفوق. هذه العناصر شكّلت المحور الذي انطلق منه الشنفرى في تصوير بطولات الصعاليك خلال غاراتهم الجماعية.

في إحدى أشهر غاراته، خرج الشنفرى برفقة رفاقه الصعاليك: عامر بن الأخنس، تأبط شراً، المسيب، عمرو بن براقة، ومرة بن خليف، متوجهين نحو "العوص" أحد أحياء بجيلة. بعد تنفيذ غارتهم الناجحة، وأثناء عودتهم، اعترضتهم قبيلة خثعم، واندلعت بينهم معركة انتهت بانتصار الصعاليك. هذه المعركة أصبحت محط اهتمام في أدب الصعاليك، حيث قدم الشنفرى تفاصيل دقيقة ومفصلة عن أحداثها، مما ساهم في ترسيخ قيم البطولة والشجاعة في ذاكرة التراث العربي.

يبدأ الشنفرى قصته بإعلام زوجته عن عزمه على الخروج للغزو، غير مكترث بمصيره أو بحياته، إذ يرى أن الموت آتٍ لا محالة. لم يُطل الحديث، فقد كان في عجلة من أمره لينضم إلى رفاقه الصعاليك. يصف رفاقه بأنهم كانوا ثمانية شبان، خرجوا دون أن يوصوا أحدًا بالعناية بأسرهم أو بمنازلهم. كانوا كأنهم ذئاب، وجوههم مشرقة وقلوبهم خالية من الخوف أو التردد، متجهين نحو هدفهم بعزيمة وثبات.

وبعد ثلاثة أيام من السير المتواصل، وصلوا إلى وجهتهم يتقدمهم دليل شجاع وسريع الحركة. يصور الشنفرى تفاصيل المعركة التي اندلعت قبل الفجر في ظلام الليل. بدأ الهجوم حين اكتشف الحي وجودهم، وارتفعت أصوات القتال. أظهر كل فرد من الصعاليك شجاعته: تأبط شرًا بادر بهجوم سريع بسيفه القاطع، بينما المسيب أعمل سيفه في أعدائه بلا تردد. أما الشنفرى، فقد تولى قيادة مجموعة من الفتيان للدفاع بثبات، حتى انتهت المعركة بانتصار الصعاليك. قتلوا العديد من أعدائهم وسلبوهم، وأصاب الفزع خصومهم رغم كثرتهم. خُيّل لهم أن كل مرتفع على الأرض يسقط عليهم من قوة هجوم الصعاليك الثمانية.

بعد هذه الغارة الناجحة، عاد الشنفرى ورفاقه إلى معسكرهم بسلام، يملأهم الفخر بما حققوه من بطولات، وروى قصصهم أمام قومهم باعتزاز :(الشنفرى، 1996م،ص 33-34)

دَعيني وَقولي بَعدُ ما شِئتِ إِنَّني ... سَيُغدَى بِنَعشي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ

خَرَجنا فَلَم نَعهد وَقَلَّت وَصاتُنا ... ثَمانِيَة ما بَعدها مُتَعَتَّبُ

سَراحينُ فِتيانٍ كَأَنَّ وُجوهَهُم ... مَصابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ

نَمُرُّ بِرَهوِ الماءِ صَفحاً وَقَد طَوَت ... ثَمائِلُنا وَالزادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ

ثَلاثاً عَلى الأَقدامِ حَتّى سَما بِنا ... عَلى العَوصِ شَعشاعٌ مِنَ القَومِ مِحرَبُ

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

فَثاروا إِلَينا في السَوادِ فَهَجهَجوا ... وَصَوَّتَ فينا بِالصَباحِ المُثَوَّبُ
فَشَنَّ عَلَيهِم هَزَّةَ السَيفِ ثابِتٌ ... وَصَمَّمَ فيهِم بِالحُسامِ المُسَيَّبُ
وَظِلتُ بِفِتيانٍ مَعي أَتَّقيهُمُ ... بِهِنَّ قَليلاً ساعَةً ثُمَّ خُيِّبوا
وَقَد خَرَّ مِنهُم راجِلانِ وَفارِسٌ ... كَمِيٌّ صَرَعناهُ وَخومٌ مُسَلَّبُ
يَشُنُّ إِلَيهِ كُلُّ ربِعٍ وَقَلعَةٍ ... ثَمانِيَةً وَالقَومُ رِجلٌ وَمِقنَبُ
فَلَمّا رَآنا قَومُنا قيلَ أَفلِحوا ... فَقُلنا اِسأَلوا عَن قائِلٍ لا يُكَذَّبُ

أ- البناء الفكري للبطولة:

انبثقت فكرة البطولة في شعر الشنفرى من أفعال ومواقف حية، حيث استمدت معانيها من معركة حقيقية، مما أضفى على مفهوم البطولة طابعًا واقعيًا ملموسًا. وتمثلت هذه الفكرة في عدة عناصر أساسية:

الفعل البطولي: البطولة لدى الشنفرى تجسدت من خلال الأفعال القتالية التي تتفوق على الخصم وتنتصر عليه. وتميزت هذه الأفعال بصفات أساسية:

(1) **الشجاعة:** وهي الإقدام على المخاطر بقوة وبسالة، بالإضافة إلى الصمود والثبات في مواجهة التحديات.

(2) **قوة الشخصية:** الإرادة الصلبة والعزيمة القوية التي تمكن البطل من التغلب على المصاعب، كانت من سمات البطولة لدى الشاعر.

(3) **الحكمة:**تجلت في حسن التدبير والحنكة في إدارة المعارك والغارات، مما مكّن البطل من تحقيق النصر بفعالية.

الغلبة: لانتصار على الأعداء كان غاية أساسية وشرطًا للبطولة، حيث انتهت المعركة بعودة الشاعر ورفاقه سالمين بعد تحقيق غايتهم.

من خلال هذه العناصر، يتضح أن البناء الفكري للبطولة في شعر الشنفرى يعتمد على تجربة قتالية واقعية، حيث تبرز البطولة من خلال أحداث ملموسة ونتائج عملية.

ب-البناء الجمالي للبطولة:

يتجلى الجمال في تصوير البطولة في شعر الشنفرى عبر توظيفه لأدوات لغوية وتصويرية تعزز من قيمة القوة والعظمة في أفعال البطولة. وتتجسد هذه الجمالية من خلال عدة عناصر، نذكر منها:

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد الثالث والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2024م
www.ajsp.net

1. الألفاظ الموحية بالبطولة:

استخدم الشنفرى لغة ذات طابع حماسي تضخم صورة الفعل البطولي، وتعمل على إبراز العظمة والشجاعة. هذه الألفاظ اختيرت بعناية لتعكس قيم الحرب والصراع والانتصار، مستمدةً من معجم البطولة الجاهلية التي كانت تحتل مكانة رفيعة في المجتمع العربي. فالمعجم اللغوي لأي نص يعكس عالمه الخاص، والكلمات التي يتكون منها تشكل هيكل هذا العالم، كما يوضح يوري لوتمان في تحليله لبنية القصيدة الشعرية(لوتمان،ص126).

وفيما يلي جدول يوضح الألفاظ المستخدمة ودلالاتها:

الألفاظ الموحية	دلالتها	مجالها	معيارها الجمالي
محرب	إقدام، تطلع إلى الهدف	شجاعة نبل: فعل بطولي	دلالة الفعل على ثبات العزمة
صمم	إقدام وتطلع إلى الهدف بلا تردد	شجاعة، قوة شخصية: فعل بطولي	ثبات الصبر وتحققه
فارس كمي	ماهر في القتال وشجاع	فروسية: فعل بطولي	صيغة الصفة التي تدل على استمرار الفروسية وديمومتها
وخوم	رجل قوي الجسم	قوة شخصية: فعل بطولي	دلالة على قوية الأعداء وشدة الحرب
القوم رجل	ثبات وقوة إرادة،صلابة عزيمة	شجاعة، قوة شخصية: فعل بطولي	ثبات الصبر وتحققه
مقنب	بسالة مقارعة كثرة الفرسان	شجاعة: فعل بطولي	دلالة الصفة على قوية الأعداء وكثرتهم

تظهر هذه الألفاظ مدى دقة الشاعر في تصوير البطولة، حيث كانت هذه الكلمات تتناسب مع مواقف المعركة وتبرز الشجاعة والقوة في أبهى صورها. كما أن اختيار الألفاظ كان موفقًا في تحقيق الانسجام والتناسق مع موضوع القصيدة، مما جعلها تعبيرًا قويًا عن الموقف البطولي.

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

بذلك، نرى أن الشنفرى لم يكتفِ بتصوير المعركة وحسب، بل نجح في إبراز البطولة كقيمة أخلاقية وجمالية في آن واحد، مما يعزز من مكانة شعر الصعاليك كمرآة تعكس واقعهم وحياتهم القاسية.

2. المظاهر الحسيَّة والمعنويَّة للبطولة:

اعتمد الشنفرى في تشكيل مفهوم البطولة على الألفاظ الموحية التي توجهت نحو عالم البطولة، وجسدت في آن واحد أفعال الشجاعة والقوة، مما عزز من جمالية التعبير عن البطولة. هذه الألفاظ شكّلت الأساس البنيوي للصور الشعرية وأبرزت بؤرتها الجمالية. تمكن الشاعر من الجمع بين المخيلة والواقع ليعكس عظمة البطولة في قصيدته. وفيما يلي تحليل لهذه المظاهر:

رقم البيت	المظاهر الحسية والمعنوية للبطولي	دلالتها	مجال المظهر	نوع المظهر	التمكين الجمالي للمظهر
1	ترك المرأة ومسارعة إلى رفاقه في لهفة شديدة	المغامرة	قوة الإرادة، شجاعة: فعل بطولي	معنوي	ثبات عزمه عند ترك المرأة
2	مسارعة إلى الهدف، حتى لم يوصوا أحدا بأهلهم	تطلع إلى الهدف بلا تردد	قوة العزمة شجاعة : فعل بطولي	معنوي	تجسيم المعنوي(مسارعة إلى الهدف ورغبتهم) بحسي (فَلَم نَعَهد وَقَلَّت وَصاتُنا)
3	هم شجعان كالذئاب لايبدو على وجوهم جزع وخوف	بسالة، شجاعة، و إقدام	قوة شخصية: فعل بطولي	معنوي	تجسيم المعنوي(قدرتهم في القتال) بحسي (سراجين)
4	مشاقة الطريق، وصلابة العزمة	قوة إرادة، تطلع إلى المجد	قوة شخصية: فعل بطولي	معنوي	التصوير التقريري
5	قدوم إلى المقصد بالأقدام	قوة إرادة وبسالة	شجاعة، قوة شخصية: فعل بطولي	معنوي	دلالة على قوة الأعداء وهم أقوى

	ومقابلة الفرسان المدججين				
6	كثرة فرسان الخصم	بسالة، ثبات، قوة إرادة	شجاعة، قوة شخصية: فعل بطولي	معنوي	التصوير التقريري
7	سريع في الهجوم	مهارة قتالية	شجاعة، قوة شخصية: فعل بطولي	معنوي	التصوير التقريري
8	ماهر في القتال	شجاعة وبسالة	قوة شخصية: فعل بطولي	معنوي	التصوير التقريري
9	سرعة الانتصار	مهارة قتالية وشجاعة	شجاعة، قوة شخصية: فعل بطولي	معنوي	التصوير التقريري
10	جزع الخصم	شجاعة، وبسالة	قوة شخصية: فعل جليل	معنوي	التصوير التقريري
11	اعتزاز بالانتصار	شجاعة وتطلع إلى المجد	شجاعة، فعل جليل	معنوي	التصوير التقريري

تتجلى البطولة في هذه الأبيات من خلال معاني الشجاعة، الصمود، والمهارة القتالية .الشاعر اعتمد على الألفاظ التي تبرز البطولة في كل أبعادها، مع توظيف تعابير مجازية وحسية، مما جعل الشجاعة تظهر بشكل ملموس ومرئي، كما في تشبيه الأبطال بالذئاب للإشارة إلى قوتهم وإقدامهم .وعلى المستوى المعنوي، نجد أن البطولة تتجلى في القرارات البطولية، مثل المسارعة إلى المعركة .دون تردد

بهذا، استطاع الشنفرى توظيف التوازن بين الحس والمعنى، مما أضفى على البطولة بعدًا جماليًا، حيث تجلت في أبهى صورها .الأدبية، معبرا عن أفعال الأبطال وتجلياتها النفسية والمعنوية

3. جمالية الصورة والصدى:

اعتمد الشاعر الشنفرى في صياغة لوحة البطولة على التشبيهات المكثفة التي تتخذ طابعًا فنيًا مميزًا، حيث تبنى بنية تشبيهية معكوسة لتعميق دلالات القوة والتفوق، كما يتضح في تشبيهه لنفسه وأصحابه بـ"السراحين". هذه الصورة ليست مجرد تصوير سطحي، بل تنطوي على معانٍ عميقة تعكس دهاء الصعاليك وقدرتهم على المكر والمراوغة، مما يجعلهم أشبه بذئاب فتية تمتاز بالقوة والخطر. وهنا يتجلى استخدام الشاعر للبنية التشبيهية كأداة لإبراز تفوقهم وتميزهم.

(1) البنية التشبيهية المعكوسة:

عندما وصف الشنفرى نفسه وأصحابه بـ"السراحين"، قدّم مفارقة فنية عميقة؛ إذ أظهرهم كفتيان، لكنهم يختلفون عن الفتيان العاديين في طباعهم وحياتهم. تفردهم هذا يتمثل في الخصائص التي اكتسبوها من عالم الصعلكة، حيث تحوّلوا إلى ذئاب تجسد القوة والدهاء. هذه التشبيهات عكست مدى تميزهم بصفات استثنائية تتفوق على غيرهم.

أما التشبيه الآخر "كأن وجوههم مصابيح"، فقد أضاء بنور الفتية الذين يحملون الشجاعة والتضحية كمعيار لوجودهم. وجوههم المشرقة باتت رمزًا للتفاني، وتعبيرًا عن استعدادهم للتضحية بأنفسهم لإنارة طريقهم إلى المجد، حتى وإن كلفهم ذلك احتراقًا شبيهًا بالشمع الذي يحترق لينير للآخرين.

(2) التشبيه البليغ:

استخدم الشاعر الشنفرى التشبيه البليغ في عبارة "الزاد ظن مغيب"، ليعبر عن مدى حاجتهم الشديدة للطعام وكأنه حلم بعيد المنال، مشيرًا بذلك إلى شدة الصبر والتضحية التي يتحملها الصعاليك في سبيل تحقيق أهدافهم. هذا التشبيه يعزز الفكرة العامة للقصيدة، وهي تحدي الصعاب والإصرار على النجاح رغم المصاعب.

(3) الجمالية الصوتية:

اعتمد الشاعر على البنية الصوتية بشكل بارع، لتعزيز أجواء البطولة والقوة في النص. استخدم الشاعر مجموعة متنوعة من الأصوات لخلق تأثير موسيقي يتناسب مع مضمون البطولة والصراع:

- **الأصوات الشديدة:**

صوت الدال: يتميز بشدته ووضوحه، وقد ظهر في مطلع القصيدة "دعيني وقولي"، ليبرز الصلابة والثبات في مواجهة الأعداء، معبرًا عن عدم التراجع.

صوت الباء: يمتاز بالقوة والإصرار، واستخدمه الشاعر بكثرة ليعكس صلابة الصعاليك وشجاعتهم، وبرزت الباء المضمومة كرَوِيّ في "فأغيّبُ" و"مُتَعَتَّبُ"، مما أضفى إيقاعًا قويًا على القصيدة.

- **الأصوات الصفيرية:**

تتضمن أصوات الصاد والزاي والسين، وهي أصوات موسيقية تعزز من الجرس الداخلي للنص. على سبيل المثال، يظهر حرف السين في "سراحين" و"السّواد"، والزاي في "الزّاد"، والصاد في "وَصَاتُنا" و"صَوَّتَ".

- **الأصوات المهموسة:**

تم توظيفها في وصف الأعداء، مثل الثاء في "فَثَارُوا"، والهاء في "فَهَجْهَجُوا"، والتاء في "قلّتْ". هذه الأصوات تعكس حالة الضعف والتردد لدى الأعداء، وتعمل على إبراز التباين بين ضعفهم وقوة الصعاليك.

جمالية التشبيهات والصدى الصوتي:

باستخدام التشبيهات البلاغية المدعومة بأصوات قوية ومدروسة، نجح الشنفرى في تشكيل لوحة شعرية ملحمية تعكس جمالية البطولة وقوة الصعاليك. الصور البلاغية نسجت معاني الشجاعة والصلابة، بينما أضافت البنية الصوتية جرسًا موسيقيًا يعزز من روح النص البطولية، ويخلق صدىً يتماشى مع مضمون البطولة والشجاعة التي تجسدت في أفعال الصعاليك.

بهذا الأسلوب المتقن، تمكّن الشنفرى من تقديم نص شعري متكامل يجمع بين جمالية الصورة وعمق المعنى، مما أضفى على قصيدته بعدًا ملحميًا يتجاوز حدود الزمن، ويظل شاهدًا على جمالية البطولة كما جسدها الصعاليك في أشعارهم..

4. جماليات التجلي والإضمار في بناء رمز البطل:

تُعد لوحة الشنفرى عن البطولة نموذجاً فنيًّا متكاملاً يعبر عن أبعاد رمزية وجمالية أعمق تتجاوز مجرد الوصف الظاهري للأحداث. نجح الشنفرى في نقل تجربة الصعاليك من كونهم أفراداً بمهارات قتالية عادية إلى أبطال ذوي قدرات خارقة، وذلك من خلال المزج بين الحسي والمعنوي، وتحويل الأفعال الجسدية إلى رموز معنوية تمثل قدوة ومثالاً أعلى للبطولة. كما يرى مارتن هايدغر، "الشعر هو طريقة من طرق تصميم الحقيقة المنيرة(هايدغر، 2001،ص97)، وقد استطاع الشنفرى أن يجسد هذه الحقيقة من خلال بطولة الصعاليك كرمز تتجاوز حدود الماديات.

(1) البناء الرمزي للبطولة:

اعتمد الشنفرى في بناء رمزه البطولي على استخدام التشبيهات والصور البلاغية، والتي صاغت البطولة في قالب رمزي تجريدي يعبر عن تفوق معنوي. وفقاً لنعيم اليافي، "الرمز ينطلق من الملموس المجسد وينتهي إلى التجريد والمطلق" (اليافي، 1983، ص281-282). الشاعر أبدع في تقديم الصعاليك كبشر ذوي مهارات استثنائية، لكنها تعكس أيضاً اتحادهم كجماعة تسعى لتحقيق أهداف سامية، مما يُبرز التكامل بين الفرد والجماعة في معاركهم ضد الخصوم.

على سبيل المثال، تصوير "تأبط شراً" كبطل يتفوق على أعدائه يعزز الإحساس بالتفوق الجمالي للبطولة، ويؤكد على قدرة الصعاليك على التغلب على الصعوبات من خلال التكاتف والقوة الداخلية. الرمزية هنا تتجلى في الأفعال التي تعكس روح التمرد على الأعراف القبلية السائدة.

(2) استخدام الجملة الفعلية ودلالتها:

كثّف الشنفرى من استخدام الجملة الفعلية في وصف المعركة، مثل "دعيني وقولي"، "خرجنا"، "صوَّت فينا بالصباح"، و"يشن إليه". هذه الجمل تركز على الفعل المستمر والمتغير، مما يعكس الديناميكية والحركية التي تسود المعركة. الفعل هنا ليس مجرد حركة جسدية، بل تعبير عن استمرار الصراع حتى تحقيق النصر. في المقابل، استخدام الجملة الاسمية، كما في "إنني سيُغدى"، يعبر عن الثبات واليقين، ويبرز موقف الشاعر الراسخ في تبني قيم الصعاليك.

(3) ضمير المخاطب والانتماء الجماعي:

استخدام ضمير المخاطب المفرد المؤنث في عبارات مثل "دعيني، قولي، شئتِ" يجسد المواجهة مع الموت، حيث يحاول البطل تجاوز الخوف والاستعداد للمواجهة بكل شجاعة. على النقيض، استخدام ضمير المتكلم الجمع بكثرة، كما في "خرجنا، نمُرُّ، ثمائلنا"،

يعزز الشعور بالوحدة والقوة الجماعية، ويُظهر انتماء الصعاليك لبعضهم البعض وتفردهم بتمردهم على عادات القبيلة التقليدية. هذا التمرد ليس مجرد رفض للعادات، بل هو وسيلة لتعزيز الموقف البطولي الخاص بالصعاليك، حيث يصبحون أبطالاً يسعون إلى المجد والاستقلالية.

(4) التعبير عن التفرد والتمرد:

رمزية البطولة التي صاغها الشنفرى تمثل رفضاً للأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة، وتسعى إلى تجسيد روح الصعاليك كقوة متمردة. اللوحة الشعرية التي قدمها الشاعر تعبّر عن تجربة واقعية تمزج بين الماديات والرمزيات، مما يجعل من البطولة قيمة تتجاوز الحدث المادي وتصل إلى مستوى أعمق من التحرر والمجد.

(5) التوفيق بين الحسي والمعنوي:

نجح الشنفرى في دمج الحسي والمعنوي في رسم صورة البطل. استخدامه للجمل الفعلية الحركية أضفى ديناميكية على المشهد البطولي، بينما ساهمت التشبيهات والرموز في تحويل البطولة إلى قيمة رمزية سامية. هذه التقنيات الفنية جعلت من اللوحة الشعرية مرآة لتجربة واقعية ورمزاً جماليًا يعكس تفوق البطل الصعلوك على الأعداء.

المبحث الرابع:– السَّامي في شعر الصعاليك

تتجسد قيمة "السامي" في شعر الصعاليك من خلال مبادئ وتصورات ترتقي إلى ذروة النبل والرفعة، حيث يمثل السمو التفوق المادي والمعنوي. السامي في هذا السياق يتجلى في البطولة والشجاعة الاستثنائية، ويتضمن السخاء، السماحة، العفة، والإرادة القوية. يرتكز هذا السمو على إرادة صلبة تتطلع إلى المجد، متجاوزةً الصغائر والرغبات الأنانية، متساميةً في فضاء الشرف والكرامة. كما يشير نيشفسكي: "السمو شكل من أشكال الجليل، لكنه يتميز بكونه أكبر وأقوى"(تشر، 1983،ص30).وهذا يعني أن السمو يعبر عن أقصى درجات التفوق في السلوك والفعل، ليس فقط على المستوى المادي، بل أيضًا في القيم الروحية التي تعكس غلبة الذات وتجاوز الرغبات الأنانية من أجل المجد الإنساني.

في المجتمع الجاهلي، كان السمو تجسيداً لطموحات القبيلة في السيطرة والغلبة. تجلت هذه القيمة في شعر الفخر والحماسة، حيث بالغ الشعراء الجاهليون في تصوير بطولاتهم لتلبية نزعة التفوق والغرور لدى أفراد القبيلة. مثلًا، قصيدة عمرو بن كلثوم تحتوي على العديد من صور العنف والاعتداد بالقوة القبلية، مثل قوله:(أبو زيد، 1991،ص100).

لَنا الدُنيا وَمَن أَضحى عَلَيها وَنَبطِشُ حينَ نَبطِشُ قادِرينا

نُسَمّى ظالِمينَ وَما ظُلِمنا وَلكِنا سَنَبدَأُ ظالِمينا

يتجاوز هذا التصوير للسمو التفوق الجسدي ليصل إلى التفوق الروحي والتحكم بمصير البشر. وعلى نحو مشابه، صوّر عنترة بن شداد السمو باعتباره التفوق المادي والروحي والبطولي، حيث يرى في نفسه قابضًا للأرواح متجاوزًا دور الفارس العادي الذي يقتصر على جمع الغنائم:(التبريزي،1992م،ص25)

لِيَ النُفوسُ وَلِلطَيرِ اللُحومُ وَلِل وَحشِ العِظامُ وَلِلخَيّالَةِ السَلَبُ

السمو عند الشنفرى يرتبط بالتفوق الذاتي والإباء في مواجهة الطبيعة القاسية والظروف الصعبة، كما في قوله:(الشنفرى،1996،ص58)

أُديمُ مِطالَ الجوعِ حَتّى أُميتَهُ ... وَأَضرِبُ عَنهُ الذِكرَ صَفحاً فَأَذهَلُ

وَأَستَفُّ تُربَ الأَرضِ كَيلا يَرى لَهُ ... عَلَيَّ مِنَ الطَولِ اِمرُؤ مُتَطَوِّلُ

وَلَولا اجتِنابُ الذَأمِ لَم يُلفَ مَشرَبٌ ... يُعاشُ بِهِ إِلّا لَدَيَّ وَمَأكَلُ

وَلَكِنَّ نَفساً مُرَّةً لا تُقيمُ بي ... عَلى الذَأمِ إِلّا رَيثَما أَتَحَوَّلُ

هنا، يظهر السمو عند الشنفرى من خلال قدرته على مقاومة الجوع وتفضيل أكل التراب على أن يسأل الناس حاجته. السمو لديه يمثل تفوقاً أخلاقياً وتفوقاً على الألم، حيث يتحول الألم إلى وسيلة للسمو بالذات. كما أشار هويسمان: "الألم هو الذي يسمو بالإنسان، وكلما كان الألم كبيرًا، كان السمو أعظم"(هويسمان، 1983،ص255).فالسمو عند الصعاليكعند الصعاليك مجرد تفوق فردي في القوة والشجاعة، بل كان يعبر عن روح اجتماعية نادرة. فالصعاليك كانوا يضحون بالغنائم الفردية لصالح رفاقهم، كما يظهر ذلك في شعر عروة بن الورد الذي كان يجمع الغنائم لمساعدة المحتاجين:(أبوبكر،1998،ص97)

دَعيني أُطَوِّف في البِلادِ لَعَلَّني ... أُفيدُ غِنىً فيهِ لِذي الحَقِّ مُحمِلُ

أَلَيسَ عَظيماً أَن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ ... وَلَيسَ عَلَينا في الحُقوقِ مُعَوَّلُ

فَإِن نَحنُ لَم نَملِك دِفاعاً بِحادِثٍ ... تُلِمُّ بِهِ الأَيّامُ فَالمَوتُ أَجمَلُ

في هذه الصورة، يعكس السمو قمة النبل الإنساني، حيث يفضل عروة مساعدة الآخرين على الاحتفاظ بالغنائم لنفسه، مما يعبر عن روح إنسانية نبيلة.الشنفرى يعبر عن اشتراكية سامية في تصويره للمجتمع الصعلوكي. يظهر هذا في التضامن والتكافل الاجتماعي الذي ميزهم عن باقي المجتمع الجاهلي القائم على التفاخر بالثروة والمكانة. يصف تأبط شرًا وكأنه يعول رفاقه كما تعول الأم أولادها، حيث يتقاسم معهم الموارد بشكل عادل ومسؤول:(الشنفرى،1996،ص37)

وأُمُّ عِيَالٍ قد شَهِدتُ تَقُوتُهُمْ ... إذا أَطْعَمَتْهُمْ أَوتَحَتْ وأَقَلَّتِ

تَخافُ علينا العَيْلَ إنْ هي أَكثرتْ ... ونحْنُ جِيَاعٌ، أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

وما إنَّ بها ضِنٌّ بما في وِعَائِها ... ولكنَّها مِن خِيفَةِ الجُوعِ أَبْقَتِ

بهذا، تجسد أشعار الصعاليك قيمة السمو في السلوك الاجتماعي، حيث التضامن والتكافل يظهران بوضوح. رغم ظروفهم الصعبة، رفع الصعاليك لواء الاشتراكية السامية، مقدمين مثالاً رائعًا على التعاون والمشاركة في مواردهم المحدودة لصالح الآخرين.

لوحة السامي في شعر الصعاليك:

تمثل قصائد عروة بن الورد نموذجًا ناصعًا لقيمة السامي في شعر الصعاليك، حيث تتجلى فيها أسمى قيم الإنسانية والتكافل الاجتماعي. عروة بن الورد، المعروف بأنه "أبو الصعاليك"، يجسد إرادة السمو من خلال أفعاله التي ترتكز على الاشتراكية في السراء

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

والضراء، والسماحة، والتفاني لبناء مجتمع متكافل. في شعره، يصف هذه الأفعال السامية وينشرها بين الصعاليك، مما يجعل من شعره رمزًا إنسانيًا وأخلاقيًا عظيمًا.

تشير الروايات التاريخية إلى أن عروة لم يكن مجرد شاعر ينظّر عن السمو في قصائده، بل كان يطبق هذه المبادئ على أرض الواقع. في فترات القحط والمجاعة، كان يجمع الضعفاء والمحتاجين من قومه، يوفر لهم الرعاية والمأوى، ويغزو معهم لتأمين قوتهم واحتياجاتهم. وعندما تتحسن الأحوال، يعود كل منهم إلى أهله محملاً بالغنائم، معبّرًا بذلك عن روح السمو والتكافل الاجتماعي، التي تتجاوز مجرد الكرم الفردي لتصبح رعاية جماعية مستمرة. من أقوال حفني:"لم تكن أفعال عروة مجرد جود أو كرم، وإنما كانت تعبيرًا عن شعور حقيقي بالرعاية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي، وهما جوهر الاشتراكية"(حفني، 1987، ص344).هكذا، نرى أن عروة تجسد في شعره وقيمه صورة مثالية للسمو الاجتماعي، الذي يتجاوز الحدود الشخصية ليشمل تقديم العون للمحتاجين.

نماذج من شعر عروة بن الورد:(أبوبكر،1998،ص67-70)

1-أَقِلّي عَلَيَّ اللَومَ يا بِنتَ مُنذِرٍ ... وَنامي وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ فَاسهَري

2-ذَريني وَنَفسي أُمَّ حَسّانَ إِنَّني ... بِها قَبلَ أَن لا أَملِكَ البَيعَ مُشتَري

3-أَحاديثَ تَبقى وَالفَتى غَيرُ خالِدٍ ... إِذا هُوَ أَمسى هامَةً فَوقَ صُيَّرِ

4-تُجاوِبُ أَحجارَ الكِناسِ وَتَشتَكي ... إِلى كُلِّ مَعروفٍ رَأَتهُ وَمُنكَرِ

5-ذَريني أُطَوِّف في البِلادِ لَعَلَّني ... أُخَلِّيكِ أَو أُغنيكِ عَن سوءِ مَحضَري

6-فَإِن فازَ سَهمٌ لِلمَنِيَّةِ لَم أَكُن ... جَزوعاً وَهَل عَن ذاكَ مِن مُتَأَخِّرِ

7-وَإِن فازَ سَهمي كَفَّكُم عَن مَقاعِدٍ ... لَكُم خَلفَ أَدبارِ البُيوتِ وَمُنظَرِ

8-تَقولُ لَكَ الوَيلاتُ هَل أَنتَ تارِكٌ ... ضُبُوّاً بِرَجلٍ تارَةً وَبِمِنسَرِ

9-وَمُستَثبِتٌ في مالِكَ العامَ أَنَّني ... أَراكَ عَلى أَقتادِ صَرماءَ مُذكِرِ

10-فَجوعٌ لِأَهلِ الصالِحينَ مَزَلَّةٌ ... مَخوفٌ رَداها أَن تُصيبُكَ فَاحذَرِ

11-أَبى الخَفضَ مَن يَغشاكِ مِن ذي قَرابَةٍ ... وَمِن كُلِّ سَوداءِ المَعاصِمِ تَعتَري

12-وَمُستَهنِئٍ زَيدٌ أَبوهُ فَلا أَرى ... لَهُ مَدفَعاً فَاِقنَي حَياءَكِ وَاصبِري

13-لَحى اللَهُ صُعلوكاً إِذا جَنَّ لَيلُهُ ... مُصافي المُشاشِ آلِفاً كُلَّ مَجزَرِ

14-يَعُدُّ الغِنى مِن نَفسِهِ كُلَّ لَيلَةٍ ... أَصابَ قِراها مِن صَديقٍ مُيَسَّرِ

15-يَنامُ عِشاءً ثُمَّ يُصبِحُ ناعِساً ... يَحُتُّ الحَصى عَن جَنبِهِ المُتَعَفِّرِ

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

16–قَليلُ اِلتِماسِ الزادِ إِلّا لِنَفسِهِ إِذا هُوَ أَمسى كَالعَرِيشِ المُجَوَّرِ
17–يُعينُ نِساءَ الحَيِّ ما يَستَعِنُّهُ وَيُمسي طَليحاً كَالبَعيرِ المُحَسَّرِ
18–وَلَكِنَّ صُعلوكاً صَفيحَةُ وَجهِهِ كَضَوءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ
19–مُطِلّاً عَلى أَعدائِهِ يَزجُرونَهُ بِساحَتِهِم زَجرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ
20–إِذا بَعُدوا لا يَأمَنونَ اِقتِرابَهُ تَشَوُّفَ أَهلَ الغائِبِ المُتَنَظَّرِ
21–فَذالِكَ إِن يَلقَ المَنِيَّةَ يَلقَها حَميداً وَإِن يَستَغنِ يَوماً فَأَجدَرِ
22–أَيَهلِكُ مُعتَمٌّ وَزَيدٌ وَلَم أَقُم عَلى نُدَبٍ يَوماً وَلي نَفسُ مُخطِرِ
23–سَتُفزِعُ بَعدَ اليَأسِ مَن لا يَخافُنا كَواسِعُ في أُخرى السَوامَ المُنَفَّرِ
24–يُطاعِنُ عَنها أَوَّلَ القَومِ بِالقَنا وَبيضٍ خِفافٍ ذاتِ لَونٍ مُشَهَّرِ
25–فَيَوماً عَلى نَجدٍ وَغاراتِ أَهلِها وَيَوماً بِأَرضٍ ذاتِ شَتٍّ وَعَرعَرِ
26–يُناقِلنَ بِالشُمطِ الكِرامِ أُلي القُوى نِقابَ الحِجازِ في السَريحِ المُسَيَّرِ
27–يُريحُ عَلَيَّ اللَيلُ أَضيافَ ماجِدٍ كَريمٍ وَمالي سارِحاً مالُ مُقتَرِ

يتجلى السامي في قصيدة عروة بن الورد عبر ثلاثة محاور أساسية تتناغم مع مضمون القصيدة، وهي التضحية، الشجاعة، والخلود من خلال الذكر الحسن.

الوحدة الأولى (الأبيات 1–7):

في هذه الوحدة، يخاطب عروة بن الورد زوجته التي تلومه على كثرة الغارات والمخاطر التي يواجهها في حياته. يتضح في هذا الحوار تصادم بين وجهة نظر الزوجة، التي يسيطر عليها الخوف والقلق على حياته، ووجهة نظر الشاعر، الذي يرى أن أفعاله تجسيد لشرفه وكرامته وواجبه تجاه الفقراء والمحتاجين.

- **الفكر السامي:**

يتجلى مفهوم السمو هنا في إصرار عروة على التضحية بحياته في سبيل خدمة الآخرين، وتأكيده على أهمية ترك بصمة من المجد والشرف بعد الموت. السمو بالنسبة لعروة ليس في مجرد الحفاظ على الحياة، بل في السعي لتحقيق حياة كريمة للآخرين، مما يبرز الروح الفدائية التي يتمتع بها.

- **الجمالية:**

تتجلى الجمالية في هذا القسم من القصيدة في تداخل المشاعر بين خوف الزوجة وحبها له من جهة، وبين الشجاعة والتحدي الذي يظهره عروة من جهة أخرى. الألفاظ مثل "أَقِلّي عَلَيَّ اللَومَ" و"ذَريني" تحمل دلالات قوية تعبر عن رغبة الشاعر في المضي قدمًا دون أي عائق نحو تحقيق هدفه.

الوحدة الثانية (الأبيات 8-12):

في هذه الوحدة، تُظهر الزوجة تقديرها لشجاعة عروة وخوفها عليه، إلا أن عروة يطمئنها بأنه لا يهاب الموت، بل يراه جزءًا من طريقه نحو المجد. يركز هذا القسم على فكرة التغلب على الخوف وتأكيد القوة الروحية التي يتمتع بها البطل.

- **الفكر السامي:**

يتجلى السمو في هذه الوحدة من خلال قدرة عروة على قهر الخوف وتجاوز مشاعر القلق. بالنسبة له، الموت ليس مصدرًا للرعب، بل هو جزء لا يتجزأ من مسيرته البطولية. هذا يعكس فلسفة الصعاليك في مواجهة الموت بشجاعة وبدون تردد، مما يظهر مدى رفعة عزيمتهم.

- **الجمالية:**

يتجسد الجمال هنا في الأسلوب الهادئ والمطمئن الذي يستخدمه عروة لتهدئة مخاوف زوجته. يتحدث بلغة تعكس الثبات والشجاعة، مما يظهر أن القوة التي يتحدث عنها ليست مجرد قوة جسدية، بل قوة نفسية وروحية تميزه عن غيره.

الوحدة الثالثة (الأبيات 13-21):

في هذه الأبيات، يقارن عروة بين نوعين من الصعاليك: الصعلوك الخامل الذي يرضى بالذل والضعف ولا يسعى لتغيير واقعه، والصعلوك الشجاع الذي يغامر بحياته ويتفانى في خدمة الآخرين. يضع الشاعر نفسه في موقع الصعلوك الثاني، الذي يسعى للسمو من خلال التضحية والبطولة.

- **الفكر السامي:**

تتجلى قيمة السمو في هذه الوحدة في التمييز بين صعلكة الخمول والانزواء، وصعلكة الشجاعة والفعل البطولي. الصعلوك الحقيقي، في نظر عروة، هو الذي يسعى لتغيير واقعه والارتقاء بنفسه وبمن حوله من خلال أفعاله البطولية والخدمات التي يقدمها للمجتمع.

- **الجمالية:**

تظهر الجمالية في تصوير الفرق بين الصعلوكين، حيث يقدم عروة صورة الصعلوك الشجاع الذي تهابه القبائل ويؤثر على مجتمعه بشكل إيجابي، مقارنة بالصعلوك الخامل الذي لا يسعى لتحقيق المجد ولا يبذل جهدًا في تحسين حياته.

الخاتمة (الأبيات 22-27):

في نهاية القصيدة، يعبر عروة عن فكرته المحورية في السعي نحو الخلود عبر الذكر الحسن. يرى عروة أن الشجاعة والتضحية هي ما تحقق للإنسان الخلود، حتى بعد موته. هذه الفكرة تتماشى مع رؤية الصعاليك للحياة، حيث إنهم يعيشون من أجل المجد والذكر الطيب، وليس فقط من أجل البقاء.

- **الفكر السامي:**

يتضح أن السمو عند عروة ليس مجرد شجاعة مؤقتة أو بطولة آنية، بل هو سعي دائم لتحقيق أثر يبقى بعد الموت، أثر يخلد صاحبه في قلوب الناس وذاكرتهم، ويجعله رمزًا للبطولة والتفاني.

- **الجمالية:**

تظهر الجمالية في أسلوب عروة في توضيح فلسفته حول الخلود، حيث يعبر عن المعنى العميق للبطولة، وهي أنها لا تُقاس بالحياة فقط، بل بما يتركه الإنسان من إرث ومجد بعد رحيله.

أ- البناء الفكري للسامي:

رسم عروة بن الورد في أبياته السابقة لوحة شعرية تجسد روح السمو، وتبرز إرادة صلبة لنشر الأفعال الحميدة التي ترتقي بالإنسان نحو المجد والتعالي عن الصغائر. تتجلى قيمة السمو في هذه اللوحة، متشابكةً مع جملة من الأفكار والمبادئ التي توجه الفعل الإنساني نحو السلوك السامي. وتتوزع هذه الأفكار على عدة محاور رئيسية يمكن تحليلها كما يلي:

1. **الشكل السامي:**

يربط عروة بن الورد الشكل السامي بمفاهيم مشرقة تتعلق بالشجاعة والإقدام، دون التركيز على ملامح جسدية محددة. بل يبرز سمو الروح والإرادة التي تتجلى في وجه البطل وفي شجاعته في المواقف الحاسمة. فهو لا يصف البطل بالقوة الجسدية فحسب، بل يُظهر الإرادة الصلبة والشجاعة النابعة من قوة الشخصية. هذا الشكل السامي يتمثل في:

- الوجه المشرق: يرمز إلى النقاء والشجاعة الداخلية التي تتجلى في مواقف البطل.
- المغامرة والإقدام: يعبر عن قوة الإرادة في مواجهة المصاعب والتحديات دون خوف من الموت أو الفناء.

فالشكل السامي هنا ليس شكلاً جسديًا بقدر ما هو تجسيد للسلوكيات والأفعال التي تتماشى مع العزة والكرامة، وتُخلّد ذكر البطل سواء رحل عن الحياة أو أصبح غنيًا؛ إذ يظل محل تقدير واحترام.

2. **الفعل السامي:**

يربط عروة بن الورد السمو بالفعل الإنساني الذي يرتقي بفكرة التكافل الاجتماعي، جاعلًا من الروح الإنسانية المحرك الرئيس لأفعال البطل. تتجلى مكونات الفعل السامي في شعره من خلال ثلاثة عناصر رئيسية:

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

(1) إرادة السمو:

يبرز في شعر عروة افتخاره بامتلاك إرادة سمو تدفعه للمغامرة بنفسه من أجل تحقيق الذكر الطيب قبل موته. يتصور في شعره الموت في إحدى غزواته كرمزية لطائر يصيح "اسقوني"، وهو تجسيد رمزي يعبر عن أن التضحية بالنفس هي السبيل الأوحد لتحقيق الخلود من خلال الذكر الحسن. هذه الإرادة تعكس فلسفة عروة في العيش والموت من أجل السمو الأخلاقي.

(2) **النبل:**

يؤكد عروة أن أفعاله السامية ليست نابعة من ضعف أو حاجة، بل من قدرة وتعالٍ. فهو عريق النسب ورفيع المنزلة، ينتمي إلى طبقة عُرفت بسمو نسبها وأفعالها. هذه النبالة هي التي تدفعه إلى الكرم والعطاء، وليس مجرد السعي وراء المجد الشخصي. يعبر عن هذا النبل من خلال سلوك الإنسان الكريم الذي يكرس حياته لخدمة الآخرين، متسامياً في تعامله مع المحيطين به.

(3) الروح الانسانية:

تتجلى الروح الإنسانية الصافية في سلوك عروة الذي ينبع من الكرم، العفة، والإيثار. فهو يسعى لمعاملة الأقرباء والمحتاجين بإنسانية متجذرة في أعماقه، دون تمييز، وهذا ما يجعل أفعاله تعبيرًا عن همة عالية تسمو بالإنسان إلى أرقى مراتب الفضيلة. الروح الإنسانية في شعر عروة تمثل قاعدة أخلاقية ترتكز على دعم الفقراء والمحتاجين وتوفير الحياة الكريمة للجميع.

3. التطلع إلى المجد:

أفعال عروة بن الورد مدفوعة بإرادة قوية للتطلع إلى المجد. فهو لا يسعى فقط لتحقيق مجده الشخصي، بل يبذل جهده لإكرام الفقراء وتحقيق التكافل الاجتماعي. يسعى عروة ليكون سباقًا إلى الفعال الحميدة، متطلعًا إلى تحقيق المجد الخالد الذي لا يستطيع الآخرون الوصول إليه بسهولة. هذه الروح العالية والهمة العظيمة تجعله يتفوق على أقرانه في نشر الخير والمروءة.

التكامل بين القيم السامية:

الفكر الذي يعتمده عروة بن الورد في تصوير السمو فكر متشابك لا يمكن فصل أجزائه. العفة، على سبيل المثال، ترتبط بإرادة السمو كما ترتبط بالنبل والتطلع إلى المجد. الأفعال السامية في شعره ليست منفصلة عن بعضها، بل تتحد لتشكل نسيجًا متكاملًا يصب في مجرى واحد، يتدفق بتناغم ويعبر عن عالم السمو وتألقه في الفعال الحميدة والقيم الأخلاقية.

إجمالًا، يعكس البناء الفكري للسامي في شعر عروة بن الورد تصورًا شاملاً للسمو كقيمة أخلاقية وسلوكية. تربط هذه القيم بين الإرادة القوية والنبل والروح الإنسانية والتطلع إلى المجد. أفعال عروة لا تنبع من مجرد الرغبة في الظهور أو التفوق على الآخرين، بل تستند إلى روح إنسانية خالصة تسعى إلى التضحية والإيثار من أجل رفعة المجتمع وتحقيق التكافل الاجتماعي.

ب–البناء الجمالي للسامي:

الجمال يكمن في قدرة الشاعر على استخدام الألفاظ التي تحمل معاني الرفعة والتسامي بشكل إيحائي وتعبيري، مما يعزز الإحساس بالعظمة والتفوق. تتجلى هذه الألفاظ في قصيدته عبر طاقتها الإيحائية وقدرتها على التعبير عن إرادة السمو، وتفوق الروح الإنسانية.

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

1. **الألفاظ الموحية بالسامي:**

صاغ عروة بن الورد لوحته الشعرية باستخدام مجموعة من الألفاظ التي تحمل معاني السمو، والتي تسهم في تشكيل صورة معنوية ودلالية توحي بالرفعة والشموخ. هذه الألفاظ لا تعبّر فقط عن الحالة المادية للبطل، ولكن عن إرادة التفوق، العطاء، والسماحة التي تميز الفعل السامي.

فيما يلي جدول يوضح الألفاظ الموحية بالسامي ودلالاتها:

الألفاظ الموحية بالسامي	دلالتها	مجالها	معيارها الجمالي
أُطَوِّف	علو إرادة، رفعة نفس	إرادة، رفعة نفس	دلالة الفعل على استمرار التجدد والإعراض
أُغنيكِ	علو إرادة، سماحة،	إرادة سمو، روح إنسانية	دلالة الفعل على استمرار العطاء
أخليك	وفاء، سماحة، علو إرادة	روح إنسانية، إرادة سمو	دلالة الفعل على استمرارية الوفاء
القابِسِ	تفوق، سيادة، رفعة مكانة	،تطلع إلى مجد، نبل إرادة سمو	دلالة المصدر على العز والسيادة
المُشَهَّر	شجاعة، تفوق، علو همة	روح إنسانية، إرادة سمو	دلالة اسم المفعول على استمرار التفوق
تَشَوُّف	تفوق، علو مكانة	،تطلع إلى مجد، نبل إرادة السمو	دلالة الصفة على ثبات العلو
أجدر	علو همة، علو إرادة رفعة مكانة	تطلع إلى مجد، إرادة سمو، نبل	دلالة اسم التفضيل على ثبات صفة المجد
مخطر	سيادة، سخاء،رفعة مكانة ، علو همة	نبل، روح إنسانية، إرادة سمو	دلالة اللفظ على السيادة والنجدة

المنفر	عظمة فعال، علو الهمة، رفعة مكانة	تطلع إلى مجد، إرادة سمو، نبل	دلالة اللفظ على الثبات في التطلع إلى المجد
يريح علي الليل	سماحة، سخاء، علو همة	روح إنسانية، تطلع إلى مجد	دلالة الفعل على استمرار العطاء
المقتر	سماحة، سخاء، علو همة	روح إنسانية، إرادة سمو	دلالة اسم الفاعل على تجدد واستمرار الصفة

إن الألفاظ المستخدمة في هذه القصيدة لا تعبر عن أفعال فردية، بل هي تجسيد لقيم سامية ترتبط بالعظمة والتفوق الروحي والإنساني. فالفعل "أُطَوِّف" يحمل معنى التجدد والاستمرار في المغامرة والتضحية من أجل الآخرين، مما يعكس إرادة السمو والرفعة النفسية. هذا الفعل يبرز الإرادة القوية وعدم التوقف أمام العقبات.

أما "أُغنيكِ" و"أخليك"، فكلاهما يعبران عن علو الإرادة والعطاء، حيث يظهر الشاعر وفاءه وسماحته عبر تقديم العون دون تردد. هذه الأفعال ليست مجرد ألفاظ، بل تحمل دلالات عميقة على استمرار العطاء والرعاية.

وفي الألفاظ مثل "القابِس" و"المُشَهَّر"، نرى دلالة على التفوق والسيادة، حيث يستخدمها الشاعر للإشارة إلى عظمة الفعل السامي والشجاعة التي تترافق مع السمو. هذه الألفاظ توحي بالعظمة والرفعة وتضفي إحساسًا بالتفوق الذي يتجاوز الفعل العادي ليصبح فعلًا ساميًا مستمرًا يتسم بالشجاعة والإرادة العالية.

دلالات التجدد والاستمرارية:

الأفعال التي استخدمها عروة في هذه الأبيات ليست أفعالاً متقطعة أو عارضة، بل تعبّر عن استمرارية وتجدد دائمين. أفعال مثل "أطوف"، "أغنيكِ"، و"أخليك" تحمل دلالات العطاء المستمر والكرم الذي لا ينقطع، وتجسد إرادة السمو. هذا التجدد يمنح الفعل السامي قيمة مستدامة، حيث لا يكون الفعل السامي حدثًا مؤقتًا، بل حالة مستمرة من التفوق والرفعة تتجسد على مر الزمن.

الصيغ الفعلية وأثرها الجمالي:

غلبة الصيغ الفعلية في الأبيات تساهم في إضفاء طابع من الحيوية والديناميكية على النص، مما يعزز الإحساس بالتجدد والاستمرارية. الأفعال لا ترتبط بلحظة زمنية معينة، بل تتجدد وتستمر لتعبر عن الفعل السامي الذي يتجاوز الزمان والمكان. هذه الصيغ الفعلية تكرس السمو كقيمة دائمة ومتصاعدة، تتجلى في مسيرة البطل وحياته، لتصبح علامة على عظمة الشخصية وتفوقها في مواجهة التحديات.

الطاقة الإيحائية للألفاظ:

تستمد الألفاظ المستخدمة طاقتها الإيحائية من دلالاتها المعجمية، ومن السياق الشعري الذي يضفي عليها مزيدًا من العمق والمعنى. كل لفظ يحمل إحساسًا عالياً بالرفعة والسمو، سواء من خلال ارتباطه بفعل العطاء والكرم، أو من خلال دلالته على

الشجاعة والإقدام. هذه الألفاظ، بتكرارها وتجددها داخل النص، تخلق إحساسًا قويًا بالاستمرارية في السعي نحو المجد والخلود، وتجعل من الفعل السامي جزءًا لا ينفصل عن كينونة البطل وممارساته اليومية.

2. المظاهر الحسية والمعنوية للسامي:

تبرز المظاهر الحسية والمعنوية لقيمة السامي في شعر عروة بن الورد كدعامة أساسية لصورة السمو في القصيدة. تتنوع هذه المظاهر بين تجسيد المشاعر الإنسانية والنفسية (المعنوية) وتجسيد الأفكار المجردة بأساليب حسية، مما يجعلها ملموسة وقابلة للتصور. يظهر جليًا أن غلبة المظاهر المعنوية على الحسية تعكس أن السمو، في جوهره، قيمة روحية وأخلاقية، لكن الشاعر يعتمد على التجسيد الحسي لتحويل المعاني المجردة إلى صور ملموسة في ذهن المتلقي. ويتضح هذا في تحليلنا لمختلف الأبيات الواردة في الجدول التالي:

رقم البيت	المظاهر الحسية والمعنوية للسامي	مجال المظهر	نوع المظهر	التمكين الجمالي للمظهر
1و2	اقناع زوجته بإسعاده والفقراء في المغامرة بنفسه	روح إنسانية، إرادة سمو: فعل سام، وشكل سام	معنوي	تجسيم المعنوي(ثبات حاله وإصراره على شراء المجد) بحسي(أن لا أملك البيع مشتري)
3و4	إثبات عزمه على المجد، وإصرار عليه حتى تضحية بنفسه	روح إنسانية،إرادة سمو، رفعة نفس، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي(إرادة النفس وتطلع إلى المجد) بالصورة الأسطورية التي آمَن بها الجاهليون(هامَةً فَوقَ صُيَّرِ)
5	اقناع زوجته بإسعاده والفقراء في المغامرة بنفسه	روح إنسانية، إرادة سمو: فعل سام، وشكل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (إرادة حياة كريمة لزوجته) بحسي (أخَلِّيكِ أو أغْنِيكِ عن سُوءِ مَحْضَرِ)
6 و 7	غير جازع أمام الموت من أجل تقديم الحياة الكريمة لزوجته وقومه	رفعة نفس،إرادة سمو، روح إنسانية،تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (ثبات اليقين في تطلع إلى الحياة الكريمة لزوجته وقومه) بحسي(فإن فاز سهم للمنية لم أكن جَزُوعاً)

8	إقناعه زوجته بكف عن غزواته	إرادة سمو، تطلع إلى مجد، نبل، تفوق: فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (العذاب النفسي والقلق القاسي الذي تعانيه) بحسي (لك الويلات)
9 و10	تحاول زوجته بكلّ شرح له مدى الخطر الذي يرمي نفسه في الغزوات	روح إنسانية، إرادة سمو، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (ديمومة وجودِه على حافَةِ الخطر والهلاك) بحسي(أَقْتَادِ صَرْماءَ مُذْكِرِ)
11 و 12	تمنعه عن الطلب من قومه، فلا ينال منهم ردا وتدفعها الحاجة لذلّ السؤال	روح إنسانية،إرادة سمو، رفعة نفس، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	التصوير الحسي
13	إقناع امرأته بتجنبه أن يكون صعلوك ملعون	إرادة سمو، روح إنسانية، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	صيغ التوكيد المتتالية
14و15	احتقاره ورفضه لمن ينأى بنفسه عن معالي الأمور ويرضى أن يعيش عالةً على غيره.	إرادة سمو، تطلع إلى مجد،تفوق : فعل سام	معنوى	التصوير التقريري
16	احتاقره بمن لا ينتفع به أحد	إرادة سمو، تطلع إلى مجد،تفوق : فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (عدم المنفعة) بحسي (العَرِيشِ المُجَوَّرِ)

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

17	إثبات هذا الصعلوك قيمته لا تتجاوز قيمة البعير التعب	إرادة سمو، تطلع إلى مجد،تفوق : فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (شخص لا ينتفع به أحد من قومه) بحسي (البعير المسحر)
18	إثبات طبقاته ومنزلتهم ورموزهم	إرادة سمو، تطلع إلى مجد، نبل: فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (التفوق و النبل) بحسي(القابِسِ المُتَنَوِّرِ)
19	عزة منزلة رسولهم في إسعاد الفقراء	روح إنسانية، إرادة سمو، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	تصوير تشبيهي، فزجرُ الأعداء له يُشبِه زجرَ أصحاب الميسر لذلك القدح.
20	إثبات عزمه، وتفوقه، ومنزلته بين طبقاته	روح إنسانية، إرادة سمو، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (تفوق) بحسي (تَشَوُّفَ أهلِ الغائبِ المُتَنَظِّرِ)
21	إن مات فيكفيه أنه خلد ذكره بين قومه الذين يحمدونه،	إرادة سمو، روح إنسانية، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي(تفوق، ونبل، و سمو) بحسي (بتخيُّله في حالة موته وفي حالة بقائه، ليُكرِّر فكرة الخلود بعد الموت من خلال بقاء الذِّكر والثناء الحسن)
22 و23	يقف على حافَّةِ الخطر من أجل قومه، ولن يسمح أن يهلك قومه من جوع وعبس	روح إنسانية إرادة سمو، رفعة نفس، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	تصوير تقريري
24 و25	تأكد أنه يستمر في غزوة،	إرادة سمو، روح إنسانية، تطلع	معنوي	تصوير تقريري

	ويغزو كل الأمان التي يصعب الوصول إليها	إلى مجد: فعل سام		
26 و27	أن همَّه من الغزو ليس جمعَ المال لنفسه؛ وإنما لإسعاد فقراء قومه	روح إنسانية إرادة سمو، رفعة نفس، تطلع إلى مجد: فعل سام	معنوي	تجسيم المعنوي (السماحة والكرم والعفة) بحسي (يُريحُ عَلَيَّ اللَيلُ أَضيافَ ماجِدٍ)

تحليل المظاهر الحسية والمعنوية:

المظاهر المعنوية:

تسيطر المظاهر المعنوية على معظم أبيات القصيدة، إذ تعبر عن روح الشاعر الإنسانية المتفانية في خدمة الآخرين والتضحية من أجل رفعة النفس والمجد. مثال واضح على هذا هو الأبيات (3–4)، حيث يظهر عروة استعداده الكامل للتضحية بنفسه في سبيل نيل المجد والخلود. هذه المعاني المجردة، مثل الشجاعة والصبر، ترتبط بالبعد النفسي والأخلاقي الذي يبرز فيه السمو الإنساني كقيمة عليا تتجاوز الماديات.

المظاهر الحسية:

على الرغم من هيمنة الجانب المعنوي، يلجأ الشاعر إلى التجسيم الحسي لبعض المعاني لتأكيد مشاعره وتجارب شخصياته. في البيت (8)، يتحول العذاب النفسي الذي تعانيه الزوجة إلى صورة حسية قوية عبر استخدام عبارة "لك الويلات"، مما يجعل الألم الداخلي ملموسًا ومؤثرًا في القارئ. هذا الانتقال بين المجرد والحسي يخلق اتصالًا مباشرًا مع المتلقي، حيث تصبح المشاعر أكثر حيوية وتجسدًا.

التجسيم الحسي للمعنوي:

تعتمد القصيدة على تحويل الأفكار المجردة إلى صور حسية لتقريب المعاني العالية إلى الواقع الملموس. في الأبيات (6–7)، يُجسّد عروة فكرة الثبات أمام الموت بشكل حسي من خلال تصويره لعدم خوفه من سهم المنية. هذه الصورة الحسّية تجعل مفهوم الشجاعة أكثر وضوحًا وملموسًا في ذهن المتلقي، حيث يتجسد عدم الجزع في موقف واقعي مرتبط بمواجهة الموت.

التمكين الجمالي للمظاهر:

يظهر التمكين الجمالي للمظاهر من خلال استخدام الشاعر لألفاظ موحية تُضفي على النص عمقًا بصريًا وسمعيًا. على سبيل المثال، تعبير "القابِسِ المُتَنَوِّرِ" يعكس النور والإشراق، بينما تجسيد الصعلوك الذي لا ينتفع به أحد يظهر في تعبير "البعير المُسحَّر". هذا الأسلوب في التصوير يعزز الإحساس الجمالي بالسمو من خلال الجمع بين التجربة النفسية والأفعال الواقعية، مما يجعل القصيدة أكثر تأثيرًا.

تتكامل المظاهر الحسية والمعنوية في شعر عروة بن الورد لتخلق لوحة متكاملة تعكس السمو كقيمة جوهرية في الحياة. يجيد الشاعر التوازن بين التجسيم الحسي للأفكار المجردة والإيحاءات المعنوية العميقة التي تعكس رفعة النفس وروح التضحية، مما يضفي على قصيدته قوة تعبيرية وجمالية تجذب القارئ وتثير إعجابه.

3. جمالية الصورة والصدى:

جمالية الصورة والصدى في قصيدة عروة بن الورد تتجلّى بعمق من خلال تصوير إرادة السمو وتطلّعه إلى المجد الروحي والإنساني. الشاعر ينسج قصيدته باستخدام أدوات بلاغية متنوعة، وحوار داخلي وخارجي، معتمدًا على التشبيهات والكنايات، ليخلق صورة حية تعكس قيم الصعاليك وأخلاقياتهم.

(1) التعبير عن إرادة السمو:

عروة يبدأ بتصوير إرادة السمو كركيزة أساسية في حياته، فيعرض حوارًا مع زوجته التي تلومه على مجازفاته. يُظهر إصراره على مواصلة سعيه نحو المجد والخلود من خلال قوله: "أَقِلّي عليّ اللوم يا بنت منذر"، موضحًا ثقته في اختياراته ورفضه لأي ندم أو تراجع. هنا يكشف الحوار عن فلسفة عروة في أن الخلود لا يتحقق بالماديات بل بالأفعال التي تبقى بعد الإنسان.

(2) الصورة البلاغية والكناية:

يعتمد الشاعر على الكناية والتشبيه لتجسيد السمو، فيستخدم فعل الأمر مثل "أَقِلّي" و"ذَريني" ليعكس إصراره وتحديه للعقبات. حين يشير إلى "هامة فوق صُيَّر"، فإنه يستدعي صورة أسطورية من التراث الجاهلي، حيث "الهامة" ترمز للثأر، مما يعزز شعور الشاعر بالقلق من الموت قبل تحقيق المجد.

(3) الحوار والنداء:

عروة يستخدم النداء بأسلوب متباين، ففي البداية ينادي زوجته "يا بنت منذر"، مما يعكس مسافة نفسية بينهما بسبب لومها. لكنه في موضع آخر يخاطبها بـ"أم حسان"، مما يبرز قربًا عاطفيًا وتفهماً، ويعبر عن مزيج من الحزم والمودة. هذا التنوع في النداء يضفي على النص عمقًا نفسيًا.

(4) تجسيد الحالة الوجدانية بالصور الحسية:

عروة يستخدم الأفعال المضارعة مثل "تجاوب" و"تشتكي" ليجعل المشاهد حية ومتحركة، مما يمنح القصيدة ديناميكية ويجعل القارئ يعيش الحدث وكأنه حاضر في اللحظة. هذه التقنية تعزز الإحساس بالوجدان وتجعل العاطفة أكثر تأثيرًا وواقعية.

(5) الحوار الداخلي:

يتجلى الحوار الداخلي في الصراع النفسي الذي يخوضه عروة بين مخاطر الغزوات ورغبته في تحقيق المجد. يرى عروة أن الخلود لا يتحقق بالوجود المادي، بل بالذكر الحسن الذي يتركه الإنسان بعده، مما يعكس عمق فلسفته في الحياة والموت.

(6) المقابلة بين الصورتين:

عروة يعتمد على المقابلة البلاغية بين الصعلوك الخامل الذي يعيش عالة على الآخرين، والصعلوك الشجاع الذي يسعى إلى المجد. الصعلوك الخامل يشبهه بـ"الخيمة الساقطة" و"البعير المحسر"، مما يعكس الذل والعجز، بينما الشجاع يمثل المجد والكرامة، ما يعزز الفرق بين الشخصيتين ويزيد من وضوح كل منهما.

(7) تجسيد السمو في التفاني والكرم:

في الأبيات الأخيرة، يعكس عروة فلسفة التضحية، مؤكدًا أن هدفه من الغزوات ليس جمع المال لنفسه، بل لإسعاد الفقراء. يُظهر الشاعر كيف أن الكرم والتفاني جزء أساسي من السمو، وأن التضحية من أجل رفعة الآخرين تفوق المكاسب الشخصية.

(8) التحول من "التملك إلى الكينونة":

تتضح في فلسفة عروة فكرة التحول من الرغبة في التملك إلى السعي وراء الكينونة. يؤكد عروة أن قيمة الإنسان تكمن في ما يقدمه للآخرين، وليس في ما يملكه من مال. هذا التحول يعكس صراعًا داخليًا بين المادية والسمو الروحي، ويظهر عروة كبطل يتخطى الرغبات الأنانية لصالح القيم الإنسانية.

(9) الصوت والصدى:

يعتمد عروة على الإيقاع الموسيقي في القصيدة، مما يضفي جمالية خاصة على النص. تتكرر بعض الحروف مثل اللام والميم والقاف لتعزيز دلالات السمو والقوة، فحرف اللام يوحي بالتعلق والالتصاق، والميم يعكس الانفتاح والتوسع، والقاف يبرز القوة والشدة. هذه الأصوات تخلق إيقاعًا متناغمًا يعكس صدى السمو والعظمة.

(10) النهاية والعطاء:

في ختام القصيدة، يعبر عروة عن فلسفة العطاء باعتبارها أسمى أهداف حياته، فهو لا يسعى لجمع المال بل لإسعاد الآخرين. التضحية من أجل الفقراء وإكرام الضيوف تُظهر عروة كشخصية تسعى للسمو الروحي والإنساني.

4. جماليات التجلي والإضمار في بناء الرمز السامي:

عروة بن الورد قدم في شعره صورة سامية تجسدت في أفعاله وأخلاقياته، من خلال إطار جمالي ينسجم مع قوته الروحية وعلو تطلعاته نحو المجد. هذا المجد يتشكل في منظومة من القيم الأخلاقية الرفيعة التي ترفع الإنسان عن الصغائر وتمنحه سموًا في كافة أفعاله. عمل عروة بمهارة على تشكيل هذه القيم السامية في قصائده وجعلها رموزًا تعبر عن أسمى درجات السمو، مستخدمًا ألفاظًا مشحونة بطاقة تعبيرية عالية، إلى جانب تصاعد هذه القيم في سياق الأفعال البطولية التي اتسمت بها حياته وشعره.

رغم أن رمزية السمو كانت في مقدمة المشهد الشعري عند عروة، إلا أن ثمة رموزًا أعمق كانت مضمرَة في شعره، تعكس رؤيته النفسية وتجربته الحياتية. فالسمو عنده ليس مجرد تصاعد أخلاقي بل هو ارتقاء نفسي وروحي يكشف عن نبل الروح الإنسانية. هذه الرموز اللاشعورية تنبع من صميم ذاته، وتنعكس في قصائده كحالة متواصلة من إرادة السمو النقية، التي يعيشها عروة دون اضطراب

أو تذبذب. يظهر الشاعر متصالحًا مع ذاته وتطلعاته، حيث يتوازن بين ما هو باطن مضمر وما هو ظاهر، فلا تتعارض رغباته الداخلية مع تجلياتها الخارجية.

السمو في شعر عروة يقوم على مبدأ "إضمار الألم"، إذ يرتبط هذا الارتقاء الروحي بمواجهة التحديات وتحمل المشاق، مع تجاوز الرغبات الدونية والسعي نحو قهرها. ولكن الألم الذي يضمره عروة ليس لإخفائه أو التهرب منه، بل ليجعل منه وسيلة للتفوق عليه، في سياق جمالي ينبع من فلسفة وجودية عميقة. الشعر عند عروة هو "شعرية الوجود"، حيث تتداخل التجربة الجمالية مع التجربة الحياتية، فيصبح الشعر وسيلة لفهم الكينونة، بوصفها حالة من الانفتاح على الذات وعلى الكون.

رمزية السمو في شعر عروة تعكس صراعًا داخليًا بين الرغبات المادية والرغبات الروحية. فبينما يتجاوز عروة التملك المادي، يسعى لتحقيق "الكينونة" الأسمى، التي تتجلى في التضحية والنبل الأخلاقي. إن التأملات التي تنبثق من أعماقه تشكل رؤية موحدة تجمع بين الظاهر والباطن، مما يعكس صفاء النفس ووضوح الرؤية حول قيمة أفعاله ومعانيها.

في إطار هذه الرمزية، يرسم عروة نموذجًا جماليًا يتطلع إلى المجد الأخلاقي والإنساني، وهو مجد لا يتوقف عند حدود المكاسب المادية أو الانتصارات الدنيوية. بل يتمثل في خلق وجود إنساني عظيم، مفتوح على أفق لا نهاية له، حيث تتجلى الروح الإنسانية في أرقى صورها. هذا السمو الروحي يتجسد في أفعال عروة وفي رغبته العميقة في التغلب على الفراغ والاضمحلال الذي يواجه الإنسان، داعيًا إلى تحقيق حياة إنسانية أعلى، تتناغم مع جوهر الكينونة الإنسانية..

عروة بن الورد جسد من خلال شعره نموذجًا للسمو الأخلاقي والروحي، حيث تتقاطع الرموز الظاهرة مع المكونات العميقة لروحه وتجاربه. استطاع أن يشكل رمزًا للسمو يعكس عمق تطلعاته، ورغبته في تجاوز الرغبات المادية إلى أفق الكينونة السامية، مؤكدًا على أن المجد الحقيقي لا يكون في التملك، بل في تحقيق وجود إنساني.

الفصل الثالث:– الخاتمة والنتائج مع التوصيات

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة الجوانب الجمالية في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، معتمدةً على منهج أدبي نقدي وتحليلي. استهلت الدراسة بمقدمة مختصرة تناولت أهمية شعر الصعاليك ومكانته الفريدة في الأدب العربي القديم. وقد جاء الفصل الأول بالحديث عن نشأة ظاهرة الصعلكة وأسباب ظهورها، متناولًا طوائف الشعراء الصعاليك، واستعراض الأغراض الشعرية الشائعة في نتاجاتهم، وتحليل العوامل البيئية والنفسية التي أسهمت في تشكيل تلك الأغراض.

في الفصل الثاني، تم التركيز على الجمالية التي امتاز بها شعر الصعاليك، حيث تم التوقف عند مفهوم الجمالية ودراستها، ومن ثم الانتقال إلى تجسيد صورة الجمال في شعر الصعاليك، ولا سيما في وصفهم لجمال المرأة وعفتها. اختيرت لوحة شعرية تمثل نموذجًا للصورة الكلية لجمال المرأة، وجرت دراسة وتحليل البناء الفكري لهذه اللوحة، ثم البناء الجمالي القائم على اختيار الألفاظ التي تعكس الجمال وتوجِيه. كما تناولت الدراسة تحليل المظاهر الحسية والمعنوية للجمال في تلك اللوحة، مع التركيز على كيفية تجسيد الصورة والصدى كأداتين فاعلتين في نقل القيمة الجمالية وتكوين الإحساس الفني بها.

اعتمدت الدراسة هذا النهج المنهجي في تتبع الجمالية، قبل أن تنتقل إلى دراسة مفاهيم "الجليل"، و"البطولة"، و"السامي" في شعر الصعاليك. جرى تحليل هذه المفاهيم بوصفها تمثل قمة السمو الإنساني في شعر الصعاليك، متجاوزة الأبعاد الحسية إلى مستويات أعمق من المعاني الأخلاقية والروحية.

بهذه الطريقة، قدمت هذه الدراسة قراءة نقدية معمقة للجماليات في شعر الصعاليك، مظهرةً كيف جمعوا بين المعاناة والسمو الأخلاقي، محولين تجاربهم القاسية إلى فن يعكس روح التمرد والتضحية. وأبرزت الدراسة كيف نجح الصعاليك في تجسيد قيم سامية مثل الشجاعة والكرم من خلال رموز شعرية تعبر عن الروح الإنسانية في أسمى صورها.

النتائج:

1. أهمية شعر الصعاليك في الأدب العربي: يشكل شعر الصعاليك في العصر الجاهلي نموذجًا أدبيًا فريدًا، يعبر عن تمرد اجتماعي وفكري على القيم القبلية التقليدية. تميز هذا الشعر بإعلائه لقيم الإيثار والتحدي والابتعاد عن النظم القبلية المتشددة، مما جعله وسيلة للتعبير عن ثورة الصعاليك على المجتمع المحيط بهم.
2. التأثير البيئي والنفسي في صياغة شعر الصعاليك: انعكست بيئة الصحراء القاسية وحياة التهميش التي عاشها الصعاليك بوضوح في مضامين شعرهم، حيث صاغوا تجاربهم الشخصية، معبرين عن معاناتهم من العوز والحرمان، وصراعهم ضد تلك الظروف القاسية لتحقيق الانتصار على الحياة.
3. الجمالية في شعر الصعاليك: اتسم شعر الصعاليك بجمالية فريدة، تعتمد على الصدق والصراحة في تصوير الجمال. وقد تجاوزوا الجمال الحسي إلى إبراز القيم المعنوية مثل الشجاعة والكرم، مجسدين إياها بلغة شعرية تعكس رقيًا أدبيًا وفكريًا.
4. التنوع الجمالي في شعر الصعاليك: أظهر التحليل تنوعًا في مظاهر الجماليات في شعر الصعاليك، إذ لم يقتصر على تصوير جمال المرأة أو الطبيعة، بل امتد ليشمل تصوير القيم الأخلاقية مثل الشجاعة، التضحية، والتفاني في خدمة الآخرين.
5. رمزية الجليل والبطولة والسامي: تجسدت في شعر الصعاليك مفاهيم "الجليل"، و"البطولة"، و"السامي" كرموز تعبّر عن قيم التضحية والتفوق الأخلاقي. لقد تمكنوا من تصوير أبطال يجسدون البطولة الفردية في إطار من القيم الأخلاقية الرفيعة.

التوصيات:

1. مزيد من الدراسات التحليلية لشعر الصعاليك: يُنصح بإجراء دراسات أعمق تركز على الجوانب الجمالية والفكرية في شعر الصعاليك، مع تسليط الضوء على تأثير العوامل الاجتماعية والنفسية في تشكيل نصوصهم.
2. البحث في أبعاد الفلسفة الوجودية في شعر الصعاليك: ينبغي دراسة كيف أن شعر الصعاليك يعكس فلسفة وجودية تتناول صراع الإنسان مع القدر، وطريقة مواجهته للتحديات الحياتية.
3. التركيز على الجوانب الإنسانية لشعر الصعاليك: يمكن أن تسلط الأبحاث الضوء على القيم الإنسانية في شعر الصعاليك، مثل الإيثار والتضحية والتمرد على الواقع الاجتماعي، مما يُظهر عمق البعد الإنساني في تجاربهم.

4. ربط شعر الصعاليك بالفكر المعاصر: يمكن دراسة العلاقة بين شعر الصعاليك والتجارب الأدبية المعاصرة التي تعبّر عن التمرد على النظم الاجتماعية والسياسية، لفهم أعمق للعلاقة بين الأدب والتمرد عبر العصور المختلفة.

المصادر والمراجع:

أدونيس. (1989). الشعر العربي (الطبعة الثانية). دار الآداب.

ابن خلدون، ع. (2004). مقدمة ابن خلدون (تحقيق عبد الله محمد الدرويش). دار اليعرب.

ابن قتيبة، ع. (1958). أدب الكاتب (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد). القاهرة، مصر.

ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. دار المعارف.

أبو بكر محمد، أ. (1998). ديوان عروة بن الورد. دار الكتب العلمية.

أبو علي، م. (1989). دراسات في النقد الأدبي (الطبعة الأولى). دار الفكر للنشر والتوزيع.

أبو زيد، ع. (1991). ديوان عمرو بن آلثوم (الطبعة الأولى). دار سعد الدين.

الأصفهاني، أ. ف. (2008). كتاب الأغاني (تحقيق إحسان عباس). دار صادر.

التبريزي، الخ. (1992). شرح ديوان عنترة (تقديم مجيد طراد). دار الكتاب العربي.

التبريزي، الخ. (2000). ديوان الحماسة لأبي تمام. دار الكتب العلمية.

ثويني، ح. أ.، & عواد، ك. س. (1984). السليك بن السلكة: أخباره وشعره (الطبعة الأولى). مطبعة العاني.

الجاحظ، أ. ع. (1964). رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام محمد هارون). مكتبة الخانجي.

الجاحظ، أ. ع. (1965). كتاب الحيوان (تحقيق عبد السلام محمد هارون). مكتبة البابي الحلبي.

الجرجاني، ع. (2000). دلائل الإعجاز (تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية). دار الفكر.

الحسين، ق. (1993). أنتربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام. بيروت، لبنان.

الحفني، ع. (1978). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. مكتبة مدبولي.

الحفني، ع. م. (2000). المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة (الطبعة الثالثة). مكتبة مدبولي.

الحوفي، أ. م. (1980). المرأة في الشعر الجاهلي. دار نهضة مصر.

الخالدي، ص. (1988). نظرية التصوير الفني عند سيد قطب. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

الرشيد، ع. (2002). مفهوم الجمال في الفن والأدب. كتاب الرياض، العدد (101)، الرياض، السعودية.

الزوزني، أ. (د.ت). شرح المعلقات السبع. دار الكتاب العربي.

سالم، م. ع. ن. (د.ت). القيم الجمالية. دار المعارف.

الشنفرى. (1996). ديوان الشنفرى (إعداد وتقديم طلال حرب، الطبعة الأولى). دار صادر.

شاكر، ع. (1984). ديوان تأبط شرا وأخباره (جمع وتحقيق وشرح علي ذي الفقار شاكر). دار الغرب الإسلامي.

سانتيانا، ج. (د.ت). الإحساس بالجمال (ترجمة محمد مصطفى بدوي). مكتبة الأنجلو المصرية.

الضبي، م. (1964). المفضليات (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون). دار المعارف.

عبد الحليم، د. (1987). شعراء الصعاليك: منهجه وخصائصه. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد العال، ع. (1975). البنية شكل تكويني يتصف بتنظيم ذاتي. مجلة أقلام، (10)، بغداد، العراق.

عبد الصبور، ص. (د.ت). قراءة جديدة لشعرنا القديم. منشورات اقرأ.

عباس، ح. (1998). خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورات اتحاد الكتاب العرب.

علاونة، ش. ر. (2005). عمر بن براقة الهمداني: شعره وسيرته (الطبعة الأولى). دار المناهج للنشر والتوزيع.

عاصي، م. (1981). مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ. مؤسسة نوفل.

علي، ج. (1993). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (الطبعة الثانية). جامعة بغداد.

فيصل، ش. (1959). تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام. مطبعة جامعة دمشق.

المجذوب، ع. الطيب. (1970). المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. دار الفكر.

المرزوقي، أ. م. (2003). شرح ديوان الحماسة لأبي تمام. دار الكتب العلمية.

المرزوقي، أ. م. (2003). شرح ديوان الحماسة لأبي تمام. دار الكتب العلمية.

مرعي، ف. (1991). الجمال والجلال (الطبعة الأولى). دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

مفتاح، م. (1986). تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص (الطبعة الثانية). المركز الثقافي العربي.

المقري التلمساني، أ. م. (1988). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (تحقيق إحسان عباس). دار صادر.

النويهي، م. (د.ت). الشعر الجاهلي: منهج في دراسته وتقويمه. الدار القومية للطباعة والنشر.

هويسمان، د. (د.ت). علم الجمال (إستطيقا) (ترجمة أميرة حلمي مطر). دار إحياء الكتب العربية.

اليافي، ن. (1983). تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث (الطبعة الأولى). منشورات اتحاد الكتاب العرب.

اليافي، ع. (1996). دراسات فنية في الأدب العربي (الطبعة الأولى). مكتبة لبنان ناشرون.

لوتمان، ي. (د.ت). تحليل النص الشعري بنية القصيدة (ترجمة وتقديم محمد فتوح). دار المعارف.

لالو، ش. (1959). مبادئ علم الجمال (إستطيقا) (ترجمة مصطفى ماهر). دار إحياء الكتب العربية.

مطر، أ. ح. (1997). فلسفة الجمال. دار المعارف.

المقري التلمساني, أ. م. (1988). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (تحقيق إحسان عباس). دار صادر.

الصائغ, ع. إ. (2000). النقد الحديث وخطاب التنظير. مركز عبادي للدراسات والنشر.

بلوز، ن. (1983). علم الجمال. منشورات جامعة دمشق.

برجاوي، ع. (1981). فصول في علم الجمال (الطبعة الأولى). دار الآفاق الجديدة.

ثويني، ح. أ.، & عواد، ك. س. (1984). السليك بن السلكة: أخباره وشعره (الطبعة الأولى). مطبعة العاني.

جونسون، ر. ف. (1983). موسوعة المصطلح النقدي: الجمالية (ترجمة عبد الواحد لؤلؤة). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

خليف، ي. (د.ت). الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. مكتبة الدراسات العربية.

خليل، أ. م. (1996). في النقد الجمالي: رؤية في الشعر الجاهلي. دار الفكر.

هايدغر، م. (2001). أصل العمل الفني (ترجمة أبو العيد دودو). منشورات الاختلاف.

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد الثالث والسبعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2024م
www.ajsp.net

“The Aesthetic and Artistic Aspects in Al-Sa'alik Poetry: A Descriptive and Analytical Study”

Researchers:

Liu Yongde

Postdoctoral Researcher at the Institute of International and Regional Studies, Beijing Language and Culture University

Ding Yumei

Associate Professor at Beijing Language and Culture University

Abstract:
This research aims to shed light on the aesthetic and artistic dimensions of Al-Sa'alik poetry by examining how these poets embodied aesthetic and philosophical values within the harsh realities of their lives, rebelling against the prevailing tribal system of the pre-Islamic era. The study adopts a descriptive-analytical approach, relying on the analysis of selected texts from Al-Sa'alik poetry to extract the artistic and aesthetic images present in their verses, while highlighting how they employed poetic language to express their positions on fundamental issues such as existence, freedom, and courage.

By studying poetic examples from prominent figures of this genre, such as ‘Urwah ibn al-Ward, al-Shanfara, Ta'abbata Sharran, and al-Salik ibn al-Salika, the research explores the ethical values that characterize this type of poetry, such as generosity, bravery, and nobility. It also reviews how these values were reflected in the structure of ancient Arabic poetry, emphasizing the deep interaction between poetry and social reality.

The study's findings reveal that Al-Sa'alik poetry was not merely an expression of rebellion and poverty, but also carried profound aesthetic philosophies concerning individual freedom and human dignity. The aesthetic values in their poetry transcend the prevailing social boundaries, touching upon deeper philosophical dimensions related to their perceptions of life and death, and the meanings of strength and endurance. The research highlights these poets' linguistic innovation, particularly in their use of metaphors and artistic images, which transformed their harsh life experiences into powerful aesthetic expressions.

This study is significant in addressing the research gap concerning the aesthetics of Al-Sa'alik poetry, contributing to the broadening of perspectives in the study of pre-Islamic literature through a new critical lens that deals with both the artistic and philosophical aesthetics. It offers a renewed vision of Al-Sa'alik poetry as an essential part of Arab literary heritage, thus enriching literary criticism of pre-Islamic poetry, particularly in terms of its aesthetic and humanistic aspects.

Keywords: Ṣaʿālīk poetry, Aesthetics in poetry, Pre-Islamic era, Descriptive analysis, Human values.